روايات أحلام

HARLEQUIN

www.elromancia.com
مرمورية

من أجل قلب وحيد

ميشيل دوغلاس

من أجل قلب وحيد

ميشيل دوغلاس

تأثرت جوزي لأن إخوتها نظموا لها عطلة كانت بأمس الحاجة إليها. ولكن المشكلة الوحيدة أن مكان العطلة لم يكن ذاك المنتجع الذي كانت تتمناه بل كان في كوخ يقع في مكان معزول هادئ في أستراليا.

وكان جارها الوحيد رجلاً كتوماً وجذاباً بشكل كبير اسمه كينت بلايك. بسبب مأساة عائلية عزل "كينت" نفسه عن العالم. لم يكن بإمكان جوزي المساعدة ولكن هذا الرجل الوحيد أثار اهتمامها وبسبب شخصيتها الدافئة الحيوية عزمت على نزع القفل الحديدي الذي يحيط بقلبه.

لبنان	5000 ل.ل.
الاردن	2.5 دينار
الكويت	1.25 فلس
الامارات	15 درهم
قطر	15 ريال
البحرين	1.5 دينار
السعودية	15 ريال
المغرب	25 درهم
تونس	5 دينار
عمان	1.5 ريال

www.darelfarasha.com
www.ifarasha.com

ISBN: 978-9953-15-921-3

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A
كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A
هذه الرواية خيالية وكل الأسماء والشخصيات والأماكن المذكورة فيها
هي من نتاج خيال الكاتب وأي تشابه فيها مع أي شخص حي أو ميت
أو شركة تجارية أو أحداث أو مواقع هو محض صدفة
جميع العلامات التجارية المستعملة في هذه الطبعة باستثناء شعار دار الفراشة،
هي ملك لشركة Harlequin Enterprises Limited
أو شركائها التجاريين وهي تستخدم بترخيص منها
تصميم الغلاف مرخّص له من شركة Harlequin Books S.A.
جميع الحقوق محفوظة

العنوان الأصلي لهذا الكتاب باللغة الإنكليزية
The Loner's Guarded Heart
First published in Great Britain 2008
Harlequin Mills & Boon Limited
Copyright © Michelle Douglas 2008

Arabic translation copyright © Dar El-Farasha, 2015

ISBN 987 9953-15-591-3

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
طريق المطار - سنتر زعرور - ص.ب: 11/8254 بيروت - لبنان
هاتف/فاكس: 961.1.450950
Email: info@darelfarasha.com
http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

تعود إليكم «روايات أحلام» بعد غياب أردناه فترة تجدد، كفراشة تعاود الانطلاق من جديد أكثر تألقاً....

تعود إليكم بشكل أكثر أناقة وبقصص أكثر غنى كحلم طال انتظاره، فتجمّع حلماً بعد حلم، قطرة ندى بعد أخرى، لتهدر نهراً من أحلام....

تعود إليكم وفية لآمالكم وتوقعاتكم، الروايات التي لطالما أحببتموها وأخلصتم لها.... روايات أحلام!

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

ميشيل دوغلاس Michelle Douglas

أعزائي القراء

انا مسرورة كثيراً لأنني أكتب روايات لسلسلة Mills & Boon في مئويتها الأولى.فخلال مئة سنة زودت Mills & Boon المجتمعات بروايات عاطفية مؤثرة راقية، روايات تعكس شجاعة وقوة شخصيات بطلاتنا المفضلات وسحر وجاذبية أبطالنا المفضلين.

أحببت دائماً قراءة الروايات العاطفية، الروايات التي تترك البسمة على وجوهنا. والآن أحب كتابة الروايات العاطفية لأشاركها مع الآخرين. أحب ان أخلق بطلات يمكنني ان أجعلهن يتعلقن بأبطال أستطيع ان أجعلهم يرغبون بقوة ببطلاتي، وأحب أن امنحهم النهايات السعيدة التي يستحقونها في عالم ليست السعادة فيه شيئاً مضموناً.

يشرفني أن تجد رواياتي محلاً لها في هذه الدار الرائعة.

اتمنى لدار Mills & Boon مئوية سعيدة كما أتمنى لها المزيد من الازدهار في المئوية القادمة.

مع أحرّ التمنيات

ميشيل

يسر ميشيل أن يزور قراؤها موقعها على الانترنت:

www.michelle-douglas.com

1 ـ عطلة في لا مكان

ـ مرحباً؟

انحنت جوزي بيترسون ونادت من النافذة المفتوحة جزئياً قبل أن تطرق مجدداً الباب.

ما من حركة أو صوت بل صمت مطبق.

تراجعت إلى الخلف وهي تعض شفتها وراحت تتأمل واجهة المنزل الريفي. ألواح خشبية مطلية بلون أبيض ناصع، وقد عُلّقت على النوافذ ستائر قطنية مخططة باللون الرمادي.

رمادي؟ وتصاعدت تنهيدة من أعماقها فقد ملت اللون الرمادي وهي تريد كشاكش وألوان. أرادت مرحاً وخيالاً.

شعرت باللون الرمادي وهو يحاول أن يثقل كاهلها فانتفضت وابتعدت محاولة استيعاب المشهد من حولها. كانت الممرات مكنّسة، والمرجات مشذبة ومعنيّ بها، لكنها لم تر أيّ مساكب تخفف رتابة المنظر وتناسقه ولا حتى حوض أزهار. تاقت جوزي في هذه اللحظة لرؤية وردة زاهية واحدة.

قامت ستة أكواخ خشبية بمحاذاة المنحدر بعيداً عن المنزل. لم تلاحظ أي حركة ولم يطالعها ما يؤشر إلى وجود سكّان هنا. فما من سيارات، وما من مناشف معلّقة على الشرفات، وما من دراجات هوائية.

www.elromancia.com

ما من أناس هنا.

كان العشب حول الأكواخ أخضر ومجزوزاً ما يعني أنّ شخصاً ما تكبّد عناء صيانته والحفاظ عليه.

ليتها تجد هذا الشخص أو الأشخاص!

كان المشهد الممتد أمامها خليطاً رائعاً من العشب الذهبي اللون، وأشجار المطاط الخضراء الداكنة ووميض نهر فضي اللون أحاطه نور شمس بعد الظهيرة بهالة ناعمة. واضطرت جوزي لأن تقاوم رغبتها السخيفة في أن تبكي.

ما الذي خطر لمارتي وفرانك بحق السماء؟

وذكّرت نفسها وهي تنهار على أعلى درجات السلم وتسند ذقنها براحتيها بأنها من قال إنه يحتاج لشيء من السكون والسلام.

لم تلاحظ وجود أي مساكن أخرى من حيث جلست على الشرفة الأمامية للمنزل، وخبأت وجهها بين راحتيها. إنّ مارتي وفرانك يعرفانها بما يكفي ليدركا أنها لم تكن تعني هذا بكلامها.

لم تكن ترغب في هذا النوع من السلام والسكينة الذي يجعل المرء بعيداً عن الحضارة إلى حدّ انعدم معه إرسال الهاتف الخلويّ.

أرادت أن ترى أناساً. أرادت أن تستند إلى الخلف وتغمض عينيها وتسمع الناس من حولها يضحكون ويعيشون..

هذا يكفي! إنه الشيء الوحيد اللطيف الذي قدّمه لها مارتي وفرانكي منذ...

وحاولت أن تتذكّر لكن ذهنها أبى أن يسعفها. حسن، لعل شقيقيها ليسا من النوع الذي يعبّر عن مشاعره، لكن إرسالها في إجازة، مبادرة لطيفة منهما. فهل تنوي إفساد هذه الإجازة بالانتقادات ونكران الجميل؟

قد يقدم البعض على ارتكاب جريمة ليكونوا مكانها. وكثيرون هم من قد يرغبون في تمضية شهر في هذا الوادي الرائع من ريف مقاطعة نيوساوث وايلز من دون عمل.

تلفّتت من حولها بحزن وكآبة، وتمنت لو يغطي هؤلاء الناس تلال هذا الوادي في الحال.

نفضت الغبار عن يديها وهبت واقفة. ستستفيد من هذه الفرصة إلى أقصى حدّ. تشير خارطتها إلى وجود مدينة على بعد بضعة كيلومترات، ويمكنها أن تزورها متى شاءت. ستقيم صداقات. لكنها متعبة الآن، وهذا جلّ ما في الأمر. الوصول إلى هنا تطلّب منها الكثير من الوقت، وربما هذا ما جعل مالك الأرض يتخلى عنها.

تساءلت أي نوع من الناس يختار أن يعيش وحيداً في مثل هذا المكان. وتمنت أن يكونوا من النوع الذي يحب أن يتحدّث حول فنجان من الشاي وطبق من البسكويت.

ستؤمّن جوزي البسكويت.

واعتمل نفاد الصبر في داخلها، فهزّت كتفيها وضربت الأرض بقدميها وأخذت نفساً عميقاً لتملأ رئتيها من هواء هذا الوقت المتأخر من العصر. لم تتمكن من تحديد هذه الروائح الجافة والمحملة بالغبار التي دخلت إلى رئتيها والتي تختلف تماماً عن الهواء الرطب والمثقل بالملح الذي اعتادته في موطنها. وتقلّصت معدتها مجدداً بسبب هذا الإحساس الجديد غير المألوف.

إنها لا تنتمي إلى هذا المكان.

ـ هذا هراء.

وحاولت أن تضحك لتطرد هذه الفكرة الغريبة، لكن شوقاً

عظيماً إلى موطنها ومنزلها تفجّر في داخلها. وعادت الكآبة تكتسحها أكثر فأكثر فنزلت الدرجات الثلاث وسارت في الممر المرصوف. استدارت عند أول منعطف ثم مرة أخرى. وافترضت أنها تستطيع أن تتحقق من الجهة الخلفية للمنزل، فلعل مالك الأرض يعمل في... سقيفة أو خيمة مزروعات أو ما شابه.

في لهفتها لرؤية وجه ودود، سارعت جوزي الخطى لتفتح البوابة. تلمّست أصابعها المزلاج وقد تصاعدت الحاجة في داخلها، الحاجة إلى رفقة، الحاجة إلى التواصل مع شخص ما. وأخيراً، انفتحت البوابة لتكشف عن حديقة مرتّبة. وهنا أيضاً لم ترَ أحواض زهور أو مساكب تكسر الرتابة، لكن العشب الأخضر كان مجزوزاً وقصيراً وأطرافه محددة.

كان السياج مطلياً باللون الأبيض ليتماشى مع المنزل فيما انتصب منشر الغسيل الدوّار في وسط المكان، منشر من حديد، قديم الطراز كذاك الذي تملكه جوزي في منزلها. هذا المشهد الواقعي المألوف طمأنها، فحدّقت في سروال الجينز الباهت اللون، والقميص الأزرق والسروال القصير الكحلي وأدركت أن مالك المكان رجل.

لمَ لم تعرف اسمه من مارتي أو فرانك؟ علماً أنّ الأمور سارت بسرعة فائقة. فاجآها بعرضهما هذا الليلة الماضية وأصرا على أن تنطلق مع بزوغ فجر هذا اليوم. ما حصل للسيدة بنغلي حسم مسألة الانطلاق باكراً أيضاً. وعضت جوزي شفتها. ربما ما كان عليها أن ترحل بل أن تبقى و...

هرير منخفض وشرير جعلها تجمد مكانها، وسرت قشعريرة باردة على طول عمودها الفقري وفي فروة رأسها.

أرجوك يا إلهي، لا!

لم ترَ يافطة «حذار الكلب» على البوابة حين دخلت. كانت لتراها لو وجدت فهي تنتبه لمثل هذه التفاصيل، تنتبه إليها انتباهاً شديداً.

وتعالى الهرير مجدداً، فانتفض قلب جوزي بشدة بين ضلوعها حتى خيّل إليها أنه قد يتمزّق قطعاً قبل أن يقترب الكلب منها. وراحت ركبتاها ترتعدان.

ـ كلب لطيف.

حاولت أن تتكلم لكن لسانها التصق بأعلى فمها، ما جعل كلماته غير مفهومة.

ورد عليها الكلب بالهرير مجدداً. لا، هذا ليس بكلب لطيف رغم أنه ليس ضخماً جداً لكنه كبير بما يكفي وقد كشّر عن أنياب شريرة. واستطاعت أن تتخيّل كيف يمكن لهذه الأنياب أن تمزّق اللحم بسهولة.

وتراجعت خطوة فتقدّم الكلب خطوة.

وتوقّفت فتوقّف.

راح قلبها يتخبط بقوة آلمتها. شعرت بأنها ستنهار أرضاً لكنها رفضت أن تزيح عينيها عن الكلب الذي يحدّق فيها. أحنى رأسه وكشّر عن أنيابه مجدداً واقشعر شعر ظهره كله تأهباً.

كل ما في داخل جوزي صبا نحو البوابة والحرية لكنها أدركت أنها لن تتمكّن من الوصول إليها فالكلب سيصل إليها قبل أن تقطع نصف المسافة. وتلك الأنياب...

ابتلعت بريقها وتراجعت خطوة أخرى إلى الخلف. وبقي الكلب مسمراً في مكانه.

www.liilas.com

تراجعت خطوة أخرى ولم يتحرك الكلب لكن شعر ظهره بقي مقشعراً.

واندفعت جوزي جانباً وهي تطلق صوتاً كالنشيج وتمكّنت بطريقة ما من أن ترفع نفسها وتتسلق حتى وصلت إلى أعلى منشر الغسيل الدوار.

صاحت بأعلى صوتها: «النجدة!».

ودغدغ شيء ما وجهها فرفعت يدها لتتخلّص منه. شبكة عنكبوت! حاولت أن تزيلها لكنها التصقت بوجهها وعنقها. وكانت هذه هي القطرة التي جعلت الكأس تفيض، فانفجرت جوزي بالبكاء.

اتخذ الكلب له موقعاً تحتها مباشرة، ورفع رأسه نحوها وأخذ ينبح، ما جعل جوزي تبكي أكثر فأكثر.

ـ ما الذي يجري...؟

إنه إنسان. حمداً لله! وأخيراً، وجه ودود. التفتت نحو الصوت فكادت تقع عن منشر الغسيل من شدة ارتياحها.

وراحت تحدّق فيه.

كاد قلبها يتوقف عن النبض. ثم سقط من صدرها وانبطح أرضاً لاهثاً، متخبطاً أشبه بسمكة تلفظ أنفاسها. أهذا هو الوجه الودود؟ لا!

وهزّتها موجة جديدة من الدموع. وعاود الكلب نباحه الحزين.

ـ حباً بـ...

حملق الرجل فيها، وغيّر وقفته واضعاً يديه على وركيه النحيلين كما لاحظت رغماً عنها.

ـ لِمَ بحق السماء تبكين؟

كانت لتتخلى عن مشهد هذين الوركين النحيلين وهذه القامة الرجولية لقاء بسمة واحدة. لكنه لم يبتسم.

حدّقت في وجهه القاسي الذي يبدو وكأنه منحوت من الصخر وشكت في قدرة هذا الرجل على الابتسام. لم تجد في تعابير وجهه أي تفصيل ودود، ولم ترَ في عينيه أي ذرة دفء أو رقة.

لتساعدها السماء، فهذا ليس بالرجل الذي يمكن أن يأخذها تحت جناحه. وتصاعد خرير هستيري في حنجرتها.

ـ هل أنت مالك المكان؟

ضاقت عيناه وأجابها بسؤال: «هل أنت جوزفين بيترسون؟».

أومأت برأسها إيجاباً. فعبس وقال: «نعم. أنا كينت بلاك».

لم يمد يده ليصافحها، لكنها أقرت أنّ المسألة قد تكون صعبة نظراً لأنها عالقة على منشر الغسيل.

ـ سألتك لِمَ تبكين؟

كان السؤال ليبدو ودياً لو طرحه شخص آخر إنما ليس كينت بلاك. على أيّ حال، خطر لها أنّ السؤال الأكثر إلحاحاً هو «ماذا تفعلين على منشر غسيلي بحق السماء؟».

ـ حسن؟

وتململ مجدداً وبدّل وقفته على تينك الساقين الطويلتين والنحيلتين.

فانفجرت تقول بصوت هستيري: «لِمَ أبكي؟».

انفتحت شفتاه لتخرجا كلمة واحدة قبل أن تُطبقا مجدداً: «نعم».

وارتفع صوتها أكثر: «لِمَ أبكي؟ سأخبرك لما أبكي. أنا أبكي بسبب... حسناً انظر إلى هذا المكان».

ورفعت يدها مشيرة إلى المشهد من حولها: «إنها آخر الدنيا».

www.elromancia.com

وحدّقت فيه ما منعها من البكاء مجدداً ثم أردفت: «كيف أمكن لمارتي وفرانك أن يظنا أني أرغب في المجيء إلى هنا؟».

ـ اسمعي يا آنسة بيترسون، أعتقد أنّ عليك أن تهدئي...

ـ آه، لا، لا تعتقد! طرحت السؤال وطالبت بإجابة فعليك أن تستمع إليها.

وأشارت إليه بإصبعها وكأنه مسؤول شخصياً عن كل ما جرى معها اليوم.

ـ لست عالقة هنا في أقاصي الأرض وحسب بل... بل أنا عالقة على منشر غسيل في أقاصي الأرض. وما يزيد الطين بلة هو أني تهت فيما أنا أبحث عن هذا المكان العفن لينتهي بي الأمر في بقعة نائية حيث ثُقب إطار سيارتي. بعدئذ، طاردني كلبك حتى صعدت إلى أعلى منشر الغسيل ووجدت شباك العنكبوت في كل مكان!

ارتفع صوتها مع كل كلمة تلفّظت بها بطريقة أرعبتها لكنها لم تستطع أن تسيطر عليه كما اعتادت أن تفعل. وتابعت تقول: «كما أن السيدة بيترسون أصيبت بعارض صحي هذا الصباح واضطررت لطلب الإسعاف و... وفقدت والدي قبل أسبوعين و..».

وذاب غضبها بسحر ساحر. فأغمضت عينيها وأخفضت رأسها ثم أنهت كلامها هامسة بنعومة: «وأنا أفتقده».

عليه اللعنة! فتحت عيناً واحدة على مضض فوجدته يحدّق فيها وكأنها امرأة مجنونة. وعلى الرغم من ثورتها العاطفية هذه، إلا أنها لم تشعر بأنها ترغب في الاعتذار، فوجهه لا يدعو إلى الاعتذار ولا يوحي به. أخذت نفساً عميقاً وقابلت نظرته.

ـ هل خفت من كلبي؟

رفعت حاجبها استغراباً. هل يظن أنها جلست على منشر

الغسيل بدافع التسلية؟ وردّت: «عليك أن تضع على بوابتك لافتة تحذّر من وجود الكلب حتى وإن كنت تعيش في أقاصي الأرض».

بقي يراقبها بتلك النظرة القاسية فشعرت بوجهها يحمرّ من وطأتها. وما كان منها إلا أن تنهدت ورفعت قميصها قليلاً. لم تكن بحاجة لأن تنظر إلى الأسفل لترى الندبة البيضاء الخشنة التي تمتد على طول جانبها الأيمن مروراً ببطنها. كانت قادرة على رسمها في مخيلتها.

ـ كم كان عمرك؟

ـ اثنتا عشرة سنة.

ـ وأنت خائفة من مولي الآن؟

ألا يبدو هذا جلياً؟

ورمقت الكلب بنظرة. مولي؟ بدا لها الاسم من مكانها في الأعلى غير متناسب مع ما خطر لها من أسماء كالقاتل أو الوحش أو الساحق؟ وبعد أن وقف إلى جانب كينت بلاك لم يعد الكلب يبدو لها مرعباً وضخماً كما كان الحال قبل دقائق. ازدردت جوزي بريقها وسألت: «أهي أنثى؟».

ـ نعم.

الكلب الذي هاجمها كان ذكراً من نوع دوبرمان. وقالت: «لكنها نبحت عليّ».

ـ لقد أخفتها.

ـ أنا؟

وكادت تقع عن منشر الغسيل بينما قال: «لو صفقت بيديك وصحت قليلاً في وجهها لهربت».

لم تصدّق كلامه هذا. والتوت شفتاه لكنه لم يبتسم ونادى: «مول».

www.elromancia.com

مشت الكلبة بتثاقل نحوه وهي تهز ذيلها، فملس على رأسها وأردف: «تقلّبي يا فتاة».

كان صوته خفيضاً ورقيقاً فعلق في أعماق جوزي. وانقلبت مولي على ظهرها فلم تلمها جوزي كثيراً. فلو تحدّث إليها بهذه الطريقة لفعلت مثل فعلها.

سمعت في داخلها صوتاً يأمرها بألا تكون سخيفة. أبعد الفراء عن بطن الحيوان بيدين عريضتين غيّرت عوامل الطقس لونهما. واستطاعت أن ترى حتى من موقعها عند أعلى منشر الغسيل الجلد المتصلّب والخشن الذي يغطي أصابعه.

أمرها قائلاً: «أنظري».

ونظرت لترى صورة طبق الأصل عن جرحها مطبوعة على لحم الكلبة. رأت ندبة بيضاء قبيحة تمتد على طول بطن مولي وأضلعها.

ـ تسبب بهذا الجرح رجل يحمل خشبة طويلة مزوّدة بمسامير طويلة.

اكتسحها شعور بالتعاطف والرعب في آنٍ معاً. كيف يمكن لأحدهم أن يؤذي حيواناً ضعيفاً كهذا؟ هذا تصرّف غير إنساني.

نزلت عن منشر الغسيل وجثت على ركبتيها عند قاعدته ثم فتحت ذراعيها قائلاً: «أيتها المسكينة».

فاتجهت مولي نحو ذراعيها مباشرة.

لم يرَ كينت مثل هذا المشهد على مدى سنوات عمره الاثنتين وثلاثين، فمولي تخشى الغرباء وتختبئ منهم. عندما يفاجئها أحدهم كما فعلت جوزفين بيترسون على ما يبدو، كانت تحاول أن تخدعه عبر النباح عليه ومطاردته. بعدئذ، تعود وتختبئ. الأمر الوحيد الذي

لا تسمح به هو أن يلاطفها الغرباء وهي لا تسمح بالتأكيد بأن يعانقوها.

ووجد كينت نفسه راغباً في الابتسام وذلك للمرة الأولى منذ زمن بعيد ثم تذكّر صرخة جوزفين بيترسون المدويّة حين طلبت النجدة فاستعاد مظهره البارد مجدداً. لم يكن بحاجة لامرأة كهذه في ايغل ريتش.

امرأة عاجزة عن الاهتمام بنفسها.

وزمّ شفتيه. إنها فأرة. إنّ شعرها بنيّ كالفئران، وعينيها بنيتان كالفئران، وجسدها ضئيل كالفأرة. يبدو وكأنها ترزح تحت عبء حمل من الحطب، حتى ابتسامتها كانت ابتسامة فأرة... خجولة ومترددة. وجّهتها نحوه الآن لكنه رفض أن يبادلها الابتسام.

ارتجفت الابتسامة على شفتيها، فتملّكه الشعور بالذنب ما جعله يطلق شتيمة.

وقفت على قدميها وألقت نظرة خائفة على الجهة الخلفية للمنزل وهي تسأل: «هل... هل لديك كلاب أخرى؟».

ـ لا.

وعاودته ذكرى الندبة على جسدها فكوّر قبضتيه. عندما رفعت قميصها لتريه الندبة، لم يشعر بالحنان أو الرغبة لكن شعوراً قريباً منهما اكتسحه، شعور ما بين الاثنين، شعور لا يملك اسماً له.

ما عرفه هو أنه لا يريد جوزفين بيترسون هنا على تلته فهي لا تنتمي إلى هذا المكان. إنها ابنة مدينة، ابنة الحضارة. يكفي أن ينظر المرء إلى أظافرها، أظافر طويلة ومصبوغة باللون الزهري الفاقع. كانت أظافرها مربّعة عند الأعلى بشكل متسق إلى حدّ جعله يدرك أنها مزيّفة.

هذه البلاد ليست بلاد أظافر مزيّفة.

www.elromancia.com

إنها بلاد خشونة وقساوة. ولم يرَ يوماً شخصاً أقل ميلاً إلى الخشونة والقساوة بقدر جوزفين بيترسون.

عندما التفت إليها مجدداً، حاولت أن تبتسم له وسألت: «هل أنت متزوج؟».

كان سؤالها الناعم أشبه بضربة سُددت إليه بقوة فاقت ما توقّعه. ما كان عليها أن تنظر إليه أيضاً!

التفت إلى وجهها الذي ارتسم عليه الأمل فاستعرت الرغبة في جسده على الرغم من الجهد الذي بذله، وتدفق الدم بسرعة في عروقه ما ذكره بكل ما أدار ظهره له وحاول أن ينساه. الآن، وبعد أن وقفت قبالته بدلاً من أن تبقى عالقة على منشر الغسيل أو راكعة على الأرض وهي تدفن وجهها في فراء مولي، استطاع أن يرى النقاط الذهبية في حدقتي عينيها البنيتين اللتين بدا لونهما أشبه بلون الشوكولا اللذيذ الذي يذوب في الفم. لم تعد تشبه الفأرة.

تمالك نفسك! مهما كان لون عينيها فهذا لن يغيّر واقع أنها ليست من النوع الذي يعجبه. لقد أمضى وقتاً طويلاً هنا بعيداً عن الناس. ولطالما أحب الشقراوات، ذوات القامات الطويلة والمفاتن البارزة، نساء يقضي معهن وقتاً طيباً ليس إلا. ولم تكن جوزفين بيترسون طويلة أو شقراء أو ذات مفاتن بارزة. وهي تبدو أكثر جدية من أن تتورط في علاقة عابرة كالعلاقات التي يسمح لنفسه بها أحياناً.

بقيت تحدّق فيه بأمل فيما رد بحدة واقتضاب: «لا، لست متزوجاً».

ولم يكن ينوي أن يتزوّج. وكلما أدركت هذه المرأة هذا أسرع كان أفضل.

وبدلاً من أن تظهر على وجهها إمارات الاهتمام والتخطيط،

بدت عليها الخيبة ما فاجأه وتركه عاجزاً للحظات عن القيام بأيّ ردّ فعل.

ـ هذا مؤسف. كان ليسرني أن أجد هنا امرأة أتبادل معها الحديث.

كان ليضحك عالياً للخطأ الذي ارتكبه لكنه فقد روح النكتة.

ـ هل من أحد هنا غيرك؟

ردّ بفظاظة: «لا. سأحضر مفتاح كوخك».

رمشت لفظاظته وسألت: «أي كوخ لي؟».

ـ كلها فارغة.

واتجه مسرعاً نحو الجهة الخلفية للمنزل فاضطرت لأن تركض كي تجاريه. لكنه عاد وخفف من سرعته بعد أن بذل جهداً جباراً وقال: «يمكنك أن تختاري».

ـ سأختار هذا.

أشارت إلى أقرب الأكواخ ووجد كينت نفسه يعض شفته لئلا يطلق شتيمة أخرى. تباً لها! لِمَ لم يضعها في الكوخ الأبعد وينتهي من الأمر؟ غاب داخل المنزل حيث التقط المفتاح وعاد إلى الخارج ليسلمها إياه.

ـ شكراً... شكراً لك. امممم...

وتمايلت في وقفتها قبل أن تردف: «هل من هاتف في الكوخ؟».

زم شفتيه فهو يكره أهل المدن إذ يقصدون هذا المكان مدّعين أنهم يريدون الفرار من حياة المدينة وما تتضمنه والعودة إلى الطبيعة، لكنهم يفقدون صوابهم عندما يكتشفون أن عليهم أن يحيوا من دون وسائل الرفاهية التي اعتادوها. هذا الأمر يقززه.

وتذكر كلماتها فخرجت من حنجرته ضحكة صغيرة قبل أن يجيب: «هذه آخر الدنيا، ألا تذكرين؟ فما رأيك؟».

نظرت إليه بقلق فيما التمع الذهب في عينيها وقالت: «أظن أن الجواب هو لا».

ـ ظنك في محله.

لن تحتمل شهراً. وستكون محظوظة إذا ما احتملت العيش هنا ليومين. ما الذي دهاها لتحجز الكوخ لأربعة أسابيع كاملة؟ فالإعلان الذي وضعه في الصحيفة المحلية التي تُعنى بالسياحة لا يقدّم أي وعود كاذبة. وهو ليس بالإعلان المصمم ليجذب أمثالها.

ـ اسمعي يا آنسة بيترسون، يبدو جلياً أن الوضع هنا لا يناسبك. لِمَ لا تتوجهين إلى غلوسستر؟ فهي لا تبعد سوى نصف ساعة عن هذا المكان كما ستجدين فيها أماكن إقامة تتناسب مع ذوقك.

وراح يدعو الرب كي توافق قبل أن يردف: «يمكنني حتى أن أعيد لك المبلغ الذي دفعته».

ـ ناديني جوزي من فضلك.

وصمتت للحظة وكأنها تنتظر منه أن يعاملها بالمثل ويطلب منها أن تناديه كينت لكنه لم يكن ينوي أن يقيم أي صداقات بل أرادها أن ترحل. ولما بقي صامتاً تنهدت وقالت: «عليّ أن أبقى. لقد نظّم أخواي هذه الإقامة على نفقتهما».

وعاودته ذكرى حديثها الصاخب وغير المترابط حين كانت عالقة عند أعلى منشر الغسيل. مارتي وفرانك، أليس كذلك؟ وضاقت عيناه وهو يسألها: «هل يحبان اللهو والمزاح؟».

ـ يا إلهي، لا.

وبدا للحظة وكأنها ستضحك، لكن الضحكة ذوت سريعاً وأردفت: «ولهذا السبب عليّ أن أبقى. فلن أرضى بأن أجرح مشاعرهما وسينزعجان إذا علما أني أقمت في مكان آخر».

وابتسمت فلاحظ الجهد الذي تبذله. وتركت شجاعتها البسيطة هذه أثراً غريباً في داخله. أراد أن يقاوم هذا الشعور بعد أن حذّرته غريزته من مصادقة هذه المرأة.

ـ هل غلوسستر هي المكان الأقرب الذي أجد فيه هاتفاً؟ في الواقع... ما من تغطية للهاتف الخلوي هنا.

وهذا سبب آخر يجعله يحب هذه التلة.

وتابعت تقول: «أود أن أطمئن على جارتي السيدة بنغلي».

إنها قادرة على أن تجعله يشعر وكأنه رجل مزعج وشرير. قال وهو يومئ برأسه ناحية المنزل: «ثمة هاتف في الداخل».

أشرق وجه جوزي وسألت: «هل أستطيع...؟».

ـ إنه في المطبخ.

سارعت إلى الداخل وكأنها تخشى أن يتراجع عن العرض الذي قدّمه. ارتمى على أعلى درجة في السلم محنياً كتفيه، وحاول ألا يسترق السمع إلى حديثها، حاول ألا يسمع كيف أكّدت لمن أجاب على الاتصال أنّ وادي غلوسستر جميل، وأن المشهد من كوخها بهيّ وأن كوخها رائع.

هبّ واقفاً وبدأ يسير بخطى موزونة. اثنان من أصل ثلاثة ليس بالحصيلة السيئة فوادي غلوسستر جميل والمشهد من كوخها بهيّ فعلاً. وتملكه شعور بأنها ستتخلى عن الاثنين من أجل الكوخ الرائع.

طرف بعينيه عندما ظهرت أمامه بعد دقائق إذ توقّع أن تتحدث عبر الهاتف لساعات. أليست هذه عادة النساء؟

زلّت قدمها وهي تنزل الدرج قائلة: «شكراً لك، أنا..».

وتحركت بشكل بدت معه على وشك أن تمسك بذراعه لكنها عادت وتراجعت وكأنها أعادت التفكير في المسألة وأردفت: «شكراً لك».

www.elromancia.com

تسارع نبضه وسأل: «كيف حال صديقتك السيدة بنغلي؟».

لم يصدّق أنه طرح هذا السؤال. لعل الوقت حان كي يأخذ إجازة.

أضاءت البسمة وجهها وردّت: «جاء ابنها جاكوب من بريسبن وهو يقول إنها ستكون بخير. يبدو أن داء السكري ظهر لديها مؤخراً».

ـ ستكون بخير ما إن يستقر معدل السكر في دمها وتواظب على تناول أدويتها.

خرجت الكلمات من فمه بسهولة أذهلته.

ـ نعم.

التمع الذهب في عينيها حشرية وأضافت: «تبدو وكأنك تعرف الكثير عن هذا الموضوع».

ـ هذا صحيح.

لكنه لم يكن مستعداً لإعطائها المزيد من المعلومات، فقد أعطى ما يكفي. تقدّم منها وأخذ المفتاح من بين أصابعها قائلاً: «لنساعدك على الاستقرار».

بدت كلمات كينت في مسامع جوزي وكأنه يقول: «دعينا نتخلص منك». لا، هذا الرجل لا يملك أيّ ذرة من الدفء والود في جسمه.

مع أنّ جسده جميل، فكتفاه عريضتان وورکاه نحيلتان وبنيته رياضية. وهو ليس بالرجل السيء تماماً، فقد سمح لها بأن تستخدم هاتفه وسأل عن حال السيدة بنغلي.

سارعت الخطى لتتمكن من مجاراته. ورمقته بنظرة من طرف عينها فلاحظت خط فمه الذي يشير إلى أنه عنيد. لعل وضعه جعله

على هذا الحال، فهو يعيش وحده ما لا يتيح له فرصة التحدّث إلى الآخرين. على أي حال، كانت مصممة على أن تعتبره بريئاً حتى تثبت إدانته لأن البديل هو وقت كئيب... حيث ستعلق هنا في أقاصي الأرض مع رجل غير مستعد لأن يمنحها حتى القليل من وقته.

لا، لا. وكبحت موجة من الذعر هددت باكتساحها. فخلف سلوكه الفظ يخفي كينت قلباً طيباً.

وتناهى إليها صوت غير مصدّق في رأسها يسألها «علامَ استندت في افتراضك هذا؟».

ابتلعت بريقها. لقد سألها عن امرأة عجوز كما... كما أنّ لديه كلباً. وعاد الصوت نفسه يقول بمنطق يثير السخط والجنون «هذا ليس بكثير، أليس كذلك؟».

لا، هذا ليس بكثير كما خطر لها. واكتسحها الذعر مجدداً فسألت: «هل عالجت مولي حتى شفيت؟».

ـ نعم.

كلمة لا تورطه بشيء، لكنها رفعت عبئاً عن كاهلها. أرأيت؟ إنّ قلبه طيب تجاه الكلاب. لا بأس، فهذه بداية جيدة.

صعد كينت وثباً إلى الشرفة الصغيرة أمام الكوخ ووضع المفتاح في الباب. تبعته جوزي ثم ابتلعت ريقها بصعوبة. بدت الأكواخ صغيرة جداً. كانت تأمل...

انفتح الباب فغصّت بموجة من خيبة الأمل. عندما قال مارتي وفرانك كوخاً ظنت... حسن، لم تتوقّع ترفاً خمس نجوم، لكنها أملت براحة ورفاهية ثلاث نجوم.

وها هي تجد نفسها في مكان بالكاد يكون بنجمة واحدة. وهي متساهلة بتوصيفها هذا.

تصلّب كتفا كينت بعد أن شعر بحكمها وامتعض منه. أشار: «تجدين هنا كل ما تحتاجينه. يمكن فتح الأريكة لتتحوّل إلى سرير».

خطت خطوة مترددة إلى داخل الغرفة وراحت تتأمل ما حولها. أين الأزهار؟ أين طبق الفواكه؟ لم ترَ أي سجادة على الأرض أو لوحة على الجدار كما لم ترَ أي غطاء ملوّن على الأريكة. في الواقع، لم ترَ أي غطاء حتى رماديّ اللون.

إنما كان عليها أن تعترف بأن المكان بدا نظيفاً ومرتباً إلى أقصى حدّ. والتمعت تحت ضوء اللمبة الوحيدة المتدلية من السقف طاولة وكرسيين بشكل ممل. هل وضع غطاء ملوّن على الطاولة ووسائد على الكرسيين يتطلب الكثير من الجهد؟

ـ المطبخ مجهّز بكل ما يلزم.

وكان كذلك، إذ وجدت فرناً وإبريقاً يعمل على الكهرباء ومحمصة للخبز، لكنها لم تجد أي أكياس شاي أو قهوة لتكمّل المشهد. لم يكن المطبخ مجهزاً بغسالة صحون. لم تكن تطلب الكثير، إنما...

وخطرت لها فكرة مريعة فسألت: «هل من حمام؟».

لم يجبها كينت بل تقدّم وفتح باباً لم تلحظه من قبل في الجهة البعيدة من الجدار. لم تكن واثقة من أنها ترغب في إلقاء نظرة.

أمرت ساقيها بالتحرّك وألقت نظرة عجلى ثم أطلقت النفس الذي حبسته، فثمة كرسي حمام ورشاش للاستحمام.

لكن ما من حوض للاستحمام.

لن تستفيد من الشموع وزيوت الاستحمام المعطّرة التي وضعتها في حقيبتها وحملتها معها.

ـ ما رأيك؟

التفتت جوزي إليه فاغرة فمها. وقد بدا السؤال في غير محله إلى حدّ جعلها تنطق بانطباعها الأول بعد أن عجزت عن كبحه: «إنه مريع».

تشنّج وكأنها سددت صفعة إلى وجهه.

ـ أنا آسفة. لم أشأ أن أتكلم بفظاظة لكن المكان أشبه بوجار لكلب.

في الواقع، كانت تراهن على أن مولي تقيم في مكان أفضل من هذا. وتابعت تقول: «إنه... هل الألوان هي نفسها في الأكواخ كلها؟».

انتفض النبض في أسفل حنكه: «ما عيب الألوان؟».

ـ استعملت اللون الرمادي!

ألم يلاحظ هذا؟ هل يظن فعلاً أنّ اللون الرمادي يخلق جواً مرحّباً وملهماً؟ جو عطلة؟

ثنى ذراعيه والتمعت عيناه قبل أن يقول: «الأكواخ كلها متشابهة».

إذن، فقد علقت في هذا المكان.

ـ اسمعي، أعلم أن هذا المكان لا يرقى على الأرجح إلى المستوى الذي اعتدته.

ثم فتح ذراعيه قبل أن يردف: «لكني وعدت بتقديم المقومات الأساسية للإقامة و..».

ـ هذا ليس مهماً.

وتملّكها التعب. أهذا كل ما رأى مارتي وفرانك أنها تستحقه؟ وابتلعت الغصة التي علقت في حلقها.

ـ الكوخ يحوي كل ما احتاجه تماماً كما قلت.

وأغشى اللون الرمادي بصرها.

غادر كينت بخطى واسعة متجهاً نحو ظلال ما بعد الظهر، وقد

www.elromancia.com

تصلّب ظهره وأطبق حنكه بإحكام. كانت هذه المرة الأولى التي لا يلاحظ فيها ألوان الغسق التي تراوحت ما بين الذهبي والارجواني والأخضر. توقّف فجأة والتفت إلى الخلف ثم ضرب بيده على فخذه قائلاً: «هيا يا مول».

انتصبت أذنا مولي وضربت ذيلها بألواح شرفة الكوخ غير المصقولة لكنها لم تغادر موقعها عند باب جوزي.

دمدم: «كما لو كنت أهتم».

وأكمل طريقه مبتعداً عن الكوخ. كانت الوحدة الوضع المفضّل لديه. لقد رحّبت كلبته بجوزي بيترسون وهذا حسن لكن مولي لا تستطيع أن تخيف ذبابة.

إنّ الطيور على أشكالها تقع.

توقّف كينت للحظة ثم استدار على عقبيه ووضع يديه على وركيه وقد تملّكه الاحباط.

لم تكن هذه الأكواخ معدّة لأمثالها بل لأمثاله من الرجال، للرجال الذين يعيشون في المدن ويتوقون للفرار من صخبها من حين إلى آخر، ولو لتمضية نهاية أسبوع طويلة. إنها للرجال الذين يرغبون في أن يخلّفوا رائحة الدخان الذي تطلقه السيارات والضباب والازدحام وزحمة السير وراءهم. رجال يسعدهم أن يكتفوا بالخبز المحمص والشاي مدة ثلاثة أيام.

لم يكن هذا ما تبحث عنه جوزي، فهي أرادت منتجعاً تستفيد فيه من حمامات المياه المعدنية وأسرّة من ماء. أرادت أطباقاً من ثمار البحار ولحم العجل والخضار الطرية، الطازجة.

وهو لا يلومها. إذا فقدت والدها للتو فهي تستحق على الأرجح أن تُدلل، وأن تُحسن ضيافتها، لا أن تحصل على هذا الفراغ الفظ والجلف. لا بد أن أخويها غبيان.

وركل حجراً صادفه. لا يمكنه أن يقدّم لها خدمات المنتجعات من حمامات وأطباق فاخرة.

وطالعته صورة جوزي بيترسون الضئيلة الحجم وهي تستلقي في حوض استحمام مليء بفقاقيع الصابون فاقشعر بدنه. لم تبدُ له ضئيلة كالفأرة في هذا الحلم.

مرر يده في شعره. إنه غبي. راح يتأمل الكوخ وهو يضع يديه على وركيه فلم يلحظ أيّ حركة فيه. وتلاشى المشهد الأول الذي تخيّله ليحل محله مشهدها وهي مستلقية تدفن رأسها في الأريكة وتبكي. وخطا خطوة نحو الكوخ.

وتوقّف للحظة.

إنه لا يحتمل رؤية امرأة تبكي أو لم يعد يحتمل.

شهر، شهر بأكمله.

والتفت نحو سيارتها. لم يكن حمّالاً لكن هذا لم يمنعه من التقدّم نحو السيارة ورفع حقيبتين وعلبة من البقالة أو من التوجّه نحو المنزل ليختار زجاجة من الشراب ويضعها في وعاء من الثلج ويضيفها إلى الأغراض التي كدّسها أمام بابها الأمامي.

انحنى وحك ما بين أذنيّ مولي قائلاً لها: «احرسيها يا فتاة ولا تغفلي عنها».

هذا يكفي لليوم. تقضي اللياقة بأن يتفقدها في الصباح لتنتهي واجباته كجار لها عند هذا الحد.

لو لم تصب بنوبة بكاء حين كانت معلّقة على منشر الغسيل لبكت الآن لكنها رأت أنها بكت بما يكفي ليوم واحد.

شهر بأكمله. إنها عالقة هنا مدة شهر كامل حيث ستبقى وحدها.

www.elromancia.com

حاولت أن تكبت رعدة، وحاولت أن تجبر نفسها على الابتسام فيما هي تتأمل محتويات الكوخ من جديد. لقد قرأت ذات مرة أنّ الابتسام يرفع المعنويات.

إلا أنّ هذه التقنية لم تنجح.

فركت وجهها بيديها. حسن، إن لم يكن لديها ما تفعله خلال هذه الفترة فلديها على الأقل الكثير من الوقت لتفكّر في ما ستفعله لما تبقى من عمرها. وهذا هو الهدف من عطلتها هذه على أيّ حال.

أحست بانكماش غريب وحريق في داخلها فلفّت ذراعيها حول خصرها. لم تكن مؤهّلة إلا للعناية بالمرضى وهي لم تعد ترغب في أن تفعل هذا. وتزاحم الشك والقلق المألوفان في داخلها فأبعدتهما. ستتعامل معهما لاحقاً، نعم في وقت لاحق.

تهاوت على الأريكة وهي تتنهد ثم عادت وأنّت. كانت الأريكة صلبة كالصخر وأقسى من كينت بلاك نفسه. هذا لا يبشّر بالخير. وتلوّت عليها محاولة أن تتخذ وضعية مريحة. لم تكن بحاجة لذكاء خارق لتدرك أن كينت لا يرغب في وجودها هنا. لم تر في ذاك الجسد الضخم أيّ ذرة من التعاطف مع ضعفها لكن عليها أن تعترف بأنه جسم جميل وعريض، زاد من جماله كتفان رائعتان. إذا ما تجاهلت أي فتاة تلك التقطيبة لخطرت لها آلاف الأفكار الغريبة، العجيبة و...

لا، لا يمكنها! كما أنّ جوزي لا تستطيع أبداً أن تتجاهل التقطيبة. يرى كينت أنها لا تنتمي إلى هذا المكان وهو محق في ذلك مئة بالمئة.

شهر بأكمله.

ـ توقفي!

تردد صدى صوتها مخيفاً في الكوخ فذكّرها بمدى وحدتها. وكبحت رعدة أخرى. إنها متعبة وحسب والجلوس هنا وهي تنوح اشفاقاً على ذاتها لن يفيد في شيء. حمام، هذا ما تحتاجه الآن فسينفخ فيها الحيوية والنشاط. بعدئذ، ستُحضر أغراضها من السيارة وتحضّر كوباً من الشاي.

وساعدها الاستحمام. فخرجت إلى الغرفة الرئيسية وهي تجفف شعرها بحيوية ثم جمدت مكانها.

ثمة شيء ما على شرفتها!

ها هو مجدداً. صوت قدمين، وصرير وشخير أمام بابها الأمامي الذي لم تقفله!

جفّ فمها، ورفعت المنشفة لتغطي بها وجهها. آه، رجاءً! مهما كان ما يقف أمام بابها، صلّت لئلا يكون قادراً على الوصول إلى قبضة الباب وفتحه.

يكفي أن تصفقي بيديك وتقولي بوو!

كادت النصيحة التي أسداها كينت لها في وقت سابق من هذا اليوم تجعلها تقهقه بصوت عالٍ. هذا ليس مضحكاً أبداً، وتراجعت نحو باب الحمام. شكّت في أن تتمكّن من التلفّظ بكلمة بوو في هذه اللحظة.

ـ كينت؟

لعله في الخارج. لعله عاد من أجل... لم تستطع أن تفكّر في أي سبب منطقي يدفعه للعودة. إلا أنها مستعدة لأن تدفع الغالي والنفيس كي يكون هو في الخارج الآن.

ـ سيد بلاك؟

أجابها أنين خافت تلاه خربشة على بابها وعواء.

www.elromancia.com

- مولي؟

تقدّمت جوزي متعثرة فيما قلبها يخفق في حلقها وفتحت الباب بسرعة ثم ارتمت على ركبتيها واحتضنت الكلبة وهي توبّخها قائلة: «لقد أخفتني وكدت تفقديني صوابي».

فاكتفت مولي بأن لعقت وجهها رداً على كلامها هذا.

حمدت الله لأن كينت لم يكن شاهداً على ذعرها وهلعها. كان ليسخر منها ويلوي شفته سخرية وازدراءً.

وألقت نظرة عجلى على الظلمة وغصت فقد أرخى الليل سدوله. لم تستطع أن تتذكّر ليلة بهذه الظلمة ولم ترَ ضوءاً واحداً يشق ستار السواد الحالك. كانت واجهة كوخها معاكسة لمنزل كينت ما حال دون وصول أي ضوء من المنزل إليه. لم يكن القمر قد طلع بعد لكن النجوم رسمت قوساً في قبة السماء في مشهد خطف أنفاسها.

كان عليها أن تفرغ سيارتها قبل أن يحل الظلام فهي لا تهوى التجوّل في مثل هذا الوقت. وأبعدت عينيها عن عظمة مشهد سماء هذه الليلة والتفتت لتجد حقيبتيها عند آخر الشرفة. فغرت فمها. هل أفرغ كينت سيارتها بدلاً منها؟

هذا تصرّف لطيف منه، وودود أيضاً.

وكافحت لتقف على قدميها.

مدّت يدها نحو الحقيبة الأقرب ثم جمدت مكانها. والتفتت نحو اليمين لترفع دلواً من الثلج في داخله زجاجة من الشراب.

رمشت بعينيها غير مصدّقة وضمته إلى صدرها. حسن، هذا تصرّف ودود فعلاً.

• • •

تأوهت جوزي ووضعت الوسادة فوق رأسها في محاولة منها لتحجب الأصوات المتنافرة التي تعالت في الخارج. راحت مولي تئن وتخربش مطالبة بالخروج بعد أن أمضت الليلة عند أسفل السرير فيما رحّبت جوزي بهذه الصحبة. فوجود مولي خفف من وحدتها، وهذا ما كانت تحتاجه الليلة الفائتة.

لكنها تحتاج الآن لأن تنام.

عوت مولي مجدداً فمدّت جوزي يدها إلى ساعتها وهي تتذمر. إنها السادسة صباحاً! نزلت عن سريرها رغماً عنها وفتحت الباب. ضحكت طيور القاوند الضحّاكة وكأن رؤيتها جعلتها تشعر بالمرح وصاحت طيور الببغاء فوق رأسها فيما أضافت ثلاثة غربان نعيبها الأجش إلى السمفونية. ويُضاف إلى هذا الصخب كله سقسقة وصأصأة وتغريد لم تفلح في تحديد مصدرها. ما هذا المكان... ملاذ للطيور؟

ومرّت أمام عينيها مباشرة ومضات حمراء وخضراء استقرت على الورود القريبة مغردة بسعادة فيما هي تمتص رحيق الأزهار الحمراء. إنها طيور الروزيلا وهي تعشق هذا النوع من الطيور.

عادت راكضة إلى الداخل حيث شغّلت إبريق تسخين الماء الذي يعمل على الكهرباء وارتدت سروالاً من الجينز وقميصاً ثم هرولت مجدداً إلى الشرفة وقد غمرتها السعادة وهي ترتشف قهوتها وتراقب العالم فيما هو يستيقظ من حولها.

حسن، لعل ايغل ريتش تقع عند طرف الأرض لكنها لا تستطيع إنكار جمال هذا المكان. رأت إلى يسارها صفاً من الزهور التي لا تزال مغطاة بالندى، أزهار انتشرت بين أشجار المطاط والبنقسية. أما إلى يمينها فامتدت الأكواخ الخمسة الأخرى حتى

www.elromancia.com

المنحدر. والتمع العشب الأخضر الذي غطى التلة تحت نور شمس الصباح.

رمشت بعينيها أمام هذا النور المتألق وهذه النضارة. وفاحت في المكان رائحة التربة الرطبة والعشب الذي أدفأته أشعة الشمس وعطر الاوكاليبتوس النافذ فاستنشقتهما بجشع.

وفي البعيد، شقّ نهر غلوسستر الذي امتدت على جانبيه أشجار الصمغية والصفصاف طريقه على طول سفح التلة ليختفي وراء منحدر مجاور. كانت جوزي تعلم أنها لو تبعت مجرى النهر فستصل إلى مدينة مارتين غولي الصغيرة ومن بعدها إلى مدينة غلوسستر الأكبر نفسها.

وفجأة، ارتفعت الطيور في السماء دفعة واحدة فوجدت جوزي نفسها وحيدة من جديد. ابتلعت بريقها. هل ستجد ما تفعله طيلة النهار؟ لاسيما على ضوء القرار الذي اتخذته ليلة أمس.

فركت يديها. ستفكّر في شيء ما. ستبقى في ايغل ريتش طيلة النهار حتى لو قتلها هذا، لن تتوجّه إلى مارتين غولي أو غلوسستر. لا بد أنّ كينت بلاك يتوقّع منها أن تفعل هذا. ولسبب ما، وجدت نفسها ترغب في تحطيم توقّعاته.

وعند الساعة الثامنة، تساءلت جوزي مجدداً عن معنى هذا القرار الذي اتخذته. لقد تناولت الفطور، ورتّبت الكوخ والآن...

لا شيء.

حضّرت كوب قهوة آخر وعادت للجلوس على شرفتها. تحققت من ساعتها. إنها الثامنة وخمس دقائق. حتى لو خلدت إلى النوم باكراً جداً يبقى أمامها اثنتا عشرة ساعة من الفراغ. بدأت كتفاها ترتخيان وفقد عمودها الفقري الابتهاج الذي شهده في الصباح الباكر فيما اكتسحتها مجدداً كآبة الأسى والحزن.

ما كان عليها أن تأتي إلى هذا المكان فالوقت ما زال مبكراً كي تأخذ إجازة، أي إجازة. لقد فقدت والدها قبل أسابيع قليلة وكان عليها أن تبقى في المنزل. كان عليها أن تبقى مع عائلتها وأصدقائها. وربما كان عليها في هذه اللحظات بالذات أن تشدد أواصر علاقتها بمارتي وفرانك. هذا بالتأكيد أهم من...

ـ صباح الخير!

هبت جوزي مذعورة فانسكبت القهوة على جانب فنجانها وعلى قدميها. كينت بلاك! راح قلبها ينبض بقوة بين أضلعها رغم أنها حاولت أن تقنع نفسه بأن هذا من تأثير الخوف وليس بسبب جسده الضخم الذي بدا رائعاً في سروال الجينز الباهت اللون والقميص الكحلي اللون.

ـ أنا آسف. لم أتعمد إخافتك.

لم يبدُ آسفاً على الاطلاق. وإذا لم يشأ أن يخيف الناس فعليه ألا يلقي التحية كضابط يقوم بجولة تفتيش مفاجئة.

ـ ما من مشكلة.

وحاولت أن تبتسم قبل أن تضيف: «صباح الخير».

لم يقترب منها أكثر ولم يتقدّم ليجلس معها على الشرفة. كبحت خيبة أملها وحاولت أن تقنع نفسها بأنها لا تكترث.

ـ هل نمت جيداً؟

خرجت الكلمات من حنجرة بدت صدئة وغير مستعملة.

وردّت كاذبة: «نمت نوماً عميقاً».

لقد رأت أنها كانت فظة بما يكفي الليلة الماضية حين تحدّثت عن وسائل الراحة أو غيابها. لا يمكنها أن تكرر فعلتها اليوم.

وعادت تقول: «أنا آسفة لأني لم أُظهر أي حماسة في الأمس فقد كان يومي طويلاً. الكوخ مناسب تماماً كما أشرت».

نظر إليها بدهشة ثم ضاقت عيناه. واستطاعت أن تلاحظ عن هذا القرب لونهما الأزرق المذهل الذي يكاد يضاهي لون البحر فتنة. لكن هذا لا يعني أنها تريد لهاتين العينين أن تتأملاها بهذه الطريقة.

ـ كيف وجدت الشراب؟

ابتسمت ابتسامة واسعة. يمكنه أن يبدو غير ودود ومنطوياً على ذاته بقدر ما يشاء لكن الأفعال تبقى أفصح من الكلام. فليلة أمس، قررت أن كينت بلاك طيب القلب إنما يبدو أنه نسي كيف يُظهر هذا.

ـ كان الشراب رائعاً. كانت التفاتة لطيفة جداً منك. شكراً لك يا سيد بلاك.

انتظرت أن يطلب منها أن تناديه كينت وكبحت تنهيدة عندما لم يفعل.

لمس حافة قبعته في ما اعتبرته تحية وداع فدبّ الذعر فيها. لم تشأ أن تبقى وحدها مجدداً.

لامست مولي ذراع جوزي بأنفها وأجبرتها على رفعها كي تتمكن من أن تبقى إلى جانبها.

ـ أنا... مولي كلبة لطيفة، لطيفة حقاً. كنت مخطئة بشأنها أيضاً.

كان ينبغي أن تخجل لتلعثمها هذا ولكلامها غير المفهوم لكنها أضافت: «أنا... لقد أمضت الليل معي».

استدار نحوها واضعاً يديه على وركيه وقال: «لاحظت ذلك».

يا إلهي! كان عليها أن تدعه يرحل. تلوّت أصابعها على فراء مولي ولم تشأ أن تتخلى عنها.

ـ أنا... هل تريد مني أن أرسلها إلى المنزل في المستقبل؟

ـ إنها لك.

تملّكها الارتياح وأقسمت بأنها رأت عينيه تلينان لكنه أشاح بوجهه عنها وأدركت أنها تخيّلت ذلك من دون أدنى شك. سألته وهي ترجو أن يأتي رده ايجاباً: «هل أي من الأكواخ الأخرى محجوز في الأسابيع القليلة القادمة؟».

عدم صبره عندما استدار نحوها جعلها ترغب في أن تنكمش، وقال: «لا».

هذه الكلمة اليتيمة كانت أشبه بقرع ناقوس يعلن موت آخر أمل لديها. وسألته: «إذن، ما الذي يفعله الناس هنا؟».

رفع حاجبه مستغرباً وأجاب: «يفعلون؟ لا شيء، وهذا هو الهدف».

سرت قشعريرة في جسدها، وسألته: «أترغب في فنجان من الشاي؟».

لا بد أنه يرغب في كوب من الشاي، فالقلب الطيب وفنجان الشاي يتلاءمان تماماً و...

ـ لا.

ازدردت بريقها. ألم يكن بإمكانه أن يضيف كلمة شكر إلى رفضه؟

ـ على البعض منا أن يعملوا في الواقع.

ـ أيّ نوع من الأعمال؟

هل يمكنها أن تقدّم يد العون؟ أدركت أنها تتمسّك بقشة لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها.

ـ أنا أربي الماشية على هذه التلة يا آنسة بيترسون.

www.elromancia.com

فهمست وهي ترفع يدها إلى حلقها: «جوزي. أرجو أن تناديني باسمي جوزي».

أرخى حافة قبعته على عينيه وقال: «السير في الدغل».

ـ عفواً؟

ـ الناس الذين يأتون إلى هنا يحبون السير في الدغل.

ـ آه، حسن.

إنها تحب المشي. كانت تسير على طول الشاطئ لتعود إلى المنزل إلا أنها لا تعرف المنطقة. ماذا لو تاهت؟ من سيعرف أنها مفقودة؟ ليست واثقة من أن كينت بلاك سيلاحظ غيابها.

وأشار إلى غابة أشجار الصمغ قائلاً: «ثمة ممرات جميلة هناك وهي تقود مباشرة إلى النهر».

ممرات؟ وابتهجت. يمكنها أن تتبع ممراً من دون أن تتوه.

ـ اصطحبي مولي معك.

صرخت في إثره: «حسن. شكراً لك».

لكنها شكّت في أن يكون قد سمعها فساقاه الطويلان وضعتا مسافة مخيفة بينهما في وقت قصير للغاية.

التفتت نحو عمق غابة الأوكاليبتوس التي تكثر فيها الظلال واكتشفت بداية ممر. أتسير؟ ووثبت وقد سرّها أن تجد هدفاً لها.

استدار كينت حين سمع صرخة عالية من الغابة وارتفعت الطيور من بين الأشجار وحلّقت عالياً. ألقى نظرة على ساعته وهزّ رأسه. خمس عشرة دقيقة. احتملت خمس عشرة دقيقة. لم يتعمّد أن يلحق بها طبعاً، لا لم يفعل بل سجّل لحظة انطلاقها ووجهتها، هذا كل ما في الأمر.

لقد اختار درباً آخر، درباً موازية. ولا يعني هذا أنه يراقبها بعناية أو يهتم لأمرها بل لديه عمل هذه الناحية.

وسخر منه صوت في داخله قائلاً: نعم، لكن ليس قبل وقت متأخر من بعد ظهر هذا اليوم.

لكنه تجاهل هذا الصوت.

لم يسمع المزيد من الصراخ أو الصياح أو أي نداء استغاثة. لا بد أنها صادفت شبكة عنكبوت أو شيئاً من هذا القبيل. ثم راحت مولي تطلق نباحها الخافت، الحزين. ثنى كينت ذراعيه وحملق ثم أطلق شتيمة ومرر أصابعه في شعره القصير قبل أن يتجه نحو الصوت.

وكاد يقهقه بصوت عالٍ عندما وصل إليهما. كانت جوزي ملتصقة بغصن شجرة صمغ قريبة فيما التصق غوانا بجذع الشجرة نفسها ما منعها في الواقع من الفرار. جلست مولي تراقب هذا المشهد، مكتفية بالنباح. ضحك ضحكة خافتة ثم أدرك ما فعله.

ـ أتستمتعين بنزهتك يا آنسة بيترسون؟

أدارت رأسها لتحدّق فيه من فوق كتفها وترنّح الغصن بشكل خطر فحضّر نفسه ليلتقطها إذا ما فقدت توازنها.

ردّت بحدّة: «ما رأيك؟».

ـ أظن أنك تستمتعين بإخافة الحياة البرية في جهتي من التلة.

ـ أخيف؟ أنا؟

وفتحت فمها وأطبقته من دون أن يخرج منه أيّ صوت. وأشارت بإصبع اتهام إلى الغوانا ثم عادت وتمسّكت بالغصن مجدداً حين راح يتمايل قبل أن تقول: «أبعده».

حدّق فيه وقال: «لا، لن ألمسه».

فعلّقت باستهجان: «إذن، أنت خائف أيضاً؟».

ـ لنقل إني أفضّل أن أعامل الحياة البرية بكثير من الاحترام.

ـ آه، هذا عظيم. من بين كل الحياة البرية في هذا المكان

اللعين، صادفت... ديناصوراً بدلاً من أن أصادف حيوان كوالا لطيف وجميل؟ هل من مناضلين من أجل الحفاظ على الحياة البرية في الجوار يا ترى؟

ـ ما من داعٍ لوجودهم هنا.

ـ كيف سأنزل؟

لاحظ الخوف الذي أخفته خلف خداعها. شعر بأن الخوف لم يفارقها منذ نزلت عن منشر غسيله بالأمس. أمرها: «اقفزي وسألتقطك».

لم تكن على علو مرتفع. في الواقع، لو تعلّقت بذراعيها بهذا الغصن، لما تعدّى ارتفاعها عن الأرض أربعة أو خمسة أقدام عن الأرض. لكنه أدرك أنّ وجهة نظرها ستكون مغايرة تماماً لوجهة نظره.

وتمنّى لو أنها ليست ظريفة إلى هذا الحدّ.

هذه الفكرة مرت في ذهنه وخرجت منه في طرفة عين. قال متذمراً: «أوقفي هذه الجلبة يا مولي».

في الواقع، لم تكفّ الكلبة عن العواء طيلة هذا الوقت، فمولي تحب سماع صوتها شأنها في ذلك شأن كافة النساء اللواتي عرفهن في حياته.

عضّت جوزي شفتها وألقت نظرة على الغوانا قبل أن تسأل: «هل سيقفز أيضاً؟ أو يطاردني؟».

ـ لا، فهذه شجرته حيث يشعر بالأمان.

عادت تحدّق فيه مجدداً: «إذن، ومن بين أشجار الغابة كلها، اخترت هذه؟».

ـ نعم.

ـ أنا سعيدة جداً بهذا.

ولم تنتظر حتى يحثها مجدداً لتبدّل وضعيتها وتدلّي نفسها مستعينة بيديها لتصبح أقرب إلى الأرض. وثب كينت إلى الأمام ولفّ ذراعيه حول أعلى فخذيها.

ـ لا أحتاج...

وضاعت كلمات جملتها المتبقية حين انزلقت يداها وحطتا على صدره بصوت مكتوم.

لم يتمكن كينت من السيطرة على الوضع أيضاً بعد أن سقط الجزء العلوي من جسدها عليه ووجد وجهه ملتصقاً بصدرها. وزاد الطين بلة تلك الانزلاقة الطويلة واللذيذة لجسدها على جسده.

وراح كلاهما يتنفس بصعوبة عندما لامست قدماها الأرض أخيراً.

وقفا جامدين للحظات قبل أن يفترقا على عجل.

قالت جوزي متلعثمة وهي تملّس شعرها: «شكراً لك. أنا... ربما لم يكن هناك داعٍ لأن تهبّ لنجدتي بهذا الشكل، لكن... شكراً لك على أيّ حال».

ردّ بحدة: «هل ستجعلين من هذا عادة؟».

ـ هذا ليس جزءاً من خططي.

أرادها أن تبتعد عن جبله، وسريعاً. رفع يديه وسأل: «ألا يثبت هذا كم أنّ هذا المكان لا يناسبك؟».

رفعت ذقنها رغم أنّ كتفاها بقيا منحنيين وسألته: «ألاني خفت من الغوانا؟».

ـ لأنك تخافين من كل شيء.

ـ أنا لا أخشى مولي.

www.elromancia.com

وصمتت لحظة ثم صوّبت كلامها: «لم أعد أخشاها الآن. في الواقع، لم أعرف ماذا عليّ أن أفعل حين تقدّم هذا الشيء نحوي».

ردّ على كلامها بشكل آلي: «اهربي من الزاوية الواقعة إلى يمينه».

ـ سأتذكر هذا.

لم يشأ أن تتذكر بل أرادها أن ترحل فقال: «أنت لا تعرفين كيف تحمين نفسك هنا».

ـ حسن... لم أمت بعد.

ـ ماذا ستفعلين لو انقض عليك رجل ضخم البنية وفظ؟

وليثبت وجهة نظره، اندفع نحوها بقوة.

وسرعان ما وجد نفسه مستلقياً على ظهره يحدّق في السماء الزرقاء الصافية التي بدت عبر أوراق الأشجار. لم يكن لديه أيّ فكرة كيف وصل إلى هذا الحال.

لاح وجه جوزي أمام ناظريه وهي تنحني فوقه: «هل يجيب هذا عن سؤالك؟».

هل أسقطته أرضاً؟ إنه يستحق هذه الابتسامة الصغيرة التي تعكس اعتدادها بنفسها. ولسبب ما شعر بأنه يريد أن يضحك مجدداً.

وقطّب. لا لم يشأ أن يضحك بل أرادها أن ترحل عن جبله.

ـ لعلي يائسة لكني لست عاجزة. يمكنني أن أدافع عن نفسي ضد الرجال لكني أعاني من مشكلة مع الكلاب والغوانا.

انقلب على بطنه ليراقبها وهي تمشي الهوينى مبتعدة عنه. وتمنى لو لم يلاحظ مدى جمال قامتها في سروال الجينز. لعقت مولي وجهه وكأنها تُظهر تعاطفها معه ثم هرولت خلف صديقتها الجديدة.

2 ـ من دون مقابل

عادت جوزي إلى كوخها قرابة الساعة العاشرة.

إذن، لم يبقَ أمامها سوى عشر ساعات لتضيّعها.

تمنت لو أنها تعلّمت كيف ترسم أو تصوّر أو حتى تحيك بالصنارة. إنّ ما تحتاجه فعلاً هو مشروع حرفي. وسجّلت في ذهنها أنّ عليها أن تبحث عن متجر للأدوات الحرفية عندما تقصد غلاسكو في الغد.

حسن، ما الضير لو ذهبت اليوم و...؟

وعاودتها ذكرى شفتيّ كينت الهازئتين. لا! لقد تمكنّت من البقاء هنا ليوم كامل، وبطريقة ما.

كتب! ستشتري بعض الكتب وجهاز راديو في الغد.

أعادت ترتيب مشترياتها على رفوف المطبخ وقد تطلّب هذا أقل من عشر دقائق. وضعت لائحة بما ستشتريه في الغد. وتطلّب هذا عشر دقائق أخرى لكن فقط لأنها ضيّعت الكثير من الوقت. تلفتت من حولها وصفّقت بيديها وتساءلت عما يمكن أن تفعله تالياً.

قالت متذمرة بصوت عالٍ وقد نفد صبرها فجأة: «آه، يا إلهي!».

وأمسكت بقلم ومفكّرة وجلست إلى الطاولة. لو أنها حددت ما تريد أن تفعله بما تبقى من حياتها بدلاً من أن تؤجّل النظر في الأمر لتمكّنت من أن تكمل مسيرة حياتها وتغادر هذا المكان المريع. سيسامحها مارتي وفرانك لأنها قلّصت فترة عطلتها إذا ما وضعت لنفسها خطة محددة.

كتبت في أعلى الصفحة: «ما الذي أريد أن أفعله بحياتي؟» وشعرت بأن ذهنها تحوّل إلى صفحة بيضاء.

مرّت في خاطرها الشكوك والمخاوف المألوفة. ابتلعت بريقها وحاولت ألا تصاب بالذعر. ستقسّم المسألة إلى أقسام أصغر وأكثر قابلية للحل. المهارات، ستعدد مهاراتها.

1 ـ شهادة مساعدة ممرضة؛ 2 ـ يمكنها أن تعطي حماماً في السرير للمرضى؛ 3 ـ يمكنها أن تحدد مقادير الأدوية؛ 4 ـ يمكنها أن تلاطف المريض الذي يرفض تناول الطعام وتتملقه؛ 5 ـ لا. لا. لا.

ورمت القلم على الطاولة فهي لم تعد ترغب في أن تقوم بهذه الأعمال. لا بد من وجود أمور أخرى تفعلها. لا بد من أنها تتمتع بموهبة واحدة على الأقل من شأنها أن تدفعها نحو مهنة جديدة. ها هما أخويها. ففرانك بارع في التعامل مع الأرقام ما جعل منه محاسباً ناجحاً في حين أن مارك يتمتع بقدرات رائعة في ما يتعلق بالمساحة وهو مهندس معماري ناجح. لديها...؟

لا شيء.

هبط كتفاها بعد أن عجزت عن إيجاد موهبة واحدة تبرع فيها، باستثناء الاهتمام بالأشخاص الذين يعانون من المرض أو الذين ينازعون. وسدّ الخوف حنجرتها. لا يمكنها أن تفعل هذا بعد اليوم. لقد أحبت والدها كثيراً وهي تفتقده للغاية كما أنها لا تندم على يوم واحد أمضته في الاعتناء به. لكن...

لا يمكنها أن تحتمل مريضاً آخر غريب الأطوار ولا يمكنها أن تراقب شخصاً آخر يذوي ويموت.

هبّت واقفة وراحت تذرع أرض الغرفة. أحست باللون الرمادي الذي غطى جدران الكوخ يضغط على أعصابها بعد أن غابت الألوان

عن المكان باستثناء الورق الذي يلفّ مشترياتها. نقّلت نظرها من عبوة إلى أخرى وتوقّفت عند علبة مزيج الكيك التي أضافتها إلى مشترياتها لسبب ما. ماذا؟ هل ظنت أنها ستقيم حفلات شاي؟ وعلت ضحكتها تدريجياً ما جعل مولي تنبح بصوت خافت.

ليتها تستطيع أن تقيم حفل شاي. وتصاعدت من أعماقها تنهيدة قبل أن تعضّ شفتها وتلقي نظرة أخرى على علبة الكيك. يمكنها أن تحضّرها من أجل كينت كعربون شكر على الشراب الذي قدّمه لها الليلة الماضية.

وعادت تعضّ شفتها من جديد. أرادت أن تكتشف ما يدفعه للتصرف على هذا النحو، ما الذي يجعله قوياً إلى هذا الحدّ. أرادت أن تصبح مثله. ووضعت لائحتها جانباً ومدّت يدها لتحضر وعاءاً كبيراً.

فرك كينت يديه ببعضهما فيما هو ينتظر الشاي ليتخمّر. يمكنه الآن وبعد أن أنهى عمله أن يسترخي ويستمتع بنور فترة بعد الظهر الذهبي الذابل، وهو الوقت المفضّل لديه.

لقد أمّن الطعام والماء للماشية، فهو يربي قطيعاً صغيراً بما يكفي ليتمكن من الاهتمام به بنفسه. كان الاهتمام بالماشية والأكواخ يكفي لإبقائه مشغولاً طيلة اليوم.

أما الليالي...

لا شيء أبداً!

وتناهى إليه صوت قرع على باب المنزل الخلفي فاستدار. جوزي؟

لا بد أنها هي فنادراً ما يقصده الزوار، وهذا ما يرغب فيه. لم يكن رجلاً اجتماعياً وظن أنه أوضح لها هذا في الصباح.

وساوره شعور بالذنب فقطّب وهو يلتفت إلى إبريق الشاي.

ربما جاءت لتعيد له المفتاح وتبلغه بأنها راحلة. حسن! يمكنها أن ترحل مع مغيب الشمس فالأمر لا يعنيه ولا يهمه حتى.

وعادت تدق الباب: «كينت؟».

ابتلع سيلاً من الشتائم واتجه نحو الباب ليفتحه. وماتت الملاحظة الحادة على شفتيه عندما رآها واقفة عند عتبة بابه وهي تحمل في يديها قالب حلوى بالشوكولا وقد ارتسم في عينيها، اللتين تلتمع فيهما شرارات ذهبية، تعبير مفعم بالأمل.

ـ مرحباً.

وابتسمت أو على الأقل ارتفعت شفتاها بشكل طفيف.

دمدم رداً عليها. اختلطت الأمور في داخله ورفضت أن تعود إلى نصابها.

كانت قد استحمت منذ بعض الوقت فتجعّد شعرها الرطب عند كتفيها والتمع في ضوء آخر شعاع أرسلته شمس بعد الظهر. استطاع أن يلاحظ تدرجات من اللون البني تفوق ما ظن أنه من الممكن أن يراه لدى شخص واحد، ألوان تراوحت بين العسلي الفاتح وصولاً إلى اللون الجوزي.

فاحت منها رائحة زكية، رائحة الصابون المعطر بعطر الفواكه. أهي رائحة أناناس و... خيار؟ كانت رائحتها أشبه برائحة ليالي الصيف على شاطئ البحر.

لم يستطع أن يتذكّر متى جلس على شاطئ البحر لآخر مرة أو متى رغب في ذلك آخر مرة، كما لم يتذكر متى كانت آخر مرة أكل فيها الكيك بالشوكولا. وأراد أن يمنع لعابه من أن يسيل.

دفعت قالب الحلوى نحوه قائلة: «هذا لك».

لم يكن أمامه أيّ خيار سوى أن يأخذه لكنه سألها: «لماذا؟».

لم يستطع أن يثق بالأحاسيس التي تملكته كما لم يكن يثق بها.

تجاوزته نظراتها نحو داخل المنزل. ورطّبت شفتيها عندما التقت عيونهما مجدداً وقالت: «أنا، يمممم..».

ـ أتريدين استعمال الهاتف مجدداً؟

إنه سلوك أنثوي بامتياز. لا يمكن أن يتصرّفن من دون...

ـ لا، إنه عربون شكر على زجاجة الشراب التي قدمتها لي الليلة الماضية.

كان يعلم أنه سيندم على تقديمه الشراب له. وحدّق فيها. كانت ذقنها الدقيقة الصغيرة تبرز عند شعورها بالسخط. وأراد أن يمد يده ليرسم بإصبعه خط وجنتها الناعم.

من الأفضل ألا يفعل! أعاد إليها قالب الحلوى قائلاً: «لا أريده».

تراجعت إلى الخلف خطوة ثم ضحكت ضحكة أذهلته وقالت: «جواب خاطئ يا سيد بلاك إذ يُفترض بك أن تقول شكراً».

اكتسحه شعور بالخزي، فثمة فرق شاسع بين أن يكون المرء غير اجتماعي وأن يكون فظاً. فقال: «أنت محقة. أنا آسف».

وأخذ نفساً ثم حاول أن يبتلع كلمات متسرّعة تدافعت لتخرج من فمه: «من الأفضل أن تنادبني كينت».

ولم يتمكن أيضاً من كبح ما تبقى من كلماته: «أعددت للتو إبريقاً من الشاي، فهل ترغبين في الانضمام إليّ؟».

التمعت الشرارات الذهبية في عينيها: «نعم من فضلك».

أرادت جوزي أن تهرب من عبوس كينت ثم تذكّرت أن المكان الوحيد الذي يمكن أن تلتجئ إليه هو كوخها، كوخها الكئيب، المعزول فابتلعت ذعرها وتبعته إلى المطبخ.

www.elromancia.com

غضّنت أنفها وهي تتأمل المكان من حولها. إنه منزل رجل عازب فعلاً إذ غابت الألوان ووسائل الراحة. لا يمكن لامرأة أن تحتمل هذا.

رمقت كينت بنظرة وتملكها شعور بأنه لا يأبه البتة برأي أي امرأة.

شغلت طاولة خشبية مساحة كبيرة من الغرفة، وهذا تقريباً كل ما لاحظته بالأمس حين أجرت اتصالها الهاتفي. وتساءلت عما إذا كان لديه غرفة طعام مستقلة ثم طردت الفكرة. لم يكن المنزل كبيراً بما يكفي لذلك.

ألقت نظرة باتجاه الباب الذي يؤدي إلى ما تبقّى من المنزل. لا بد أن الغرفة المجاورة هي غرفة الجلوس ويأتي من بعدها ممر يقود على الأرجح إلى غرفتي نوم في الجهة الأمامية للمنزل.

خمّنت أيضاً أنها لن تتجاوز يوماً باب هذا المطبخ. واجتاحتها فجأة نيران مستعرة. أفكارها هذه لا تعني أنها تود أن تصل إلى غرفة نومه. يا إلهي، بالطبع لا.

وسألها صوت مزعج في داخلها «هل أنت واثقة من ذلك؟».

حسن...

طوت صفحة هذه الأفكار سريعاً واستدارت لتجد نفسها في مواجهة خطوط ظهر كينت المشدودة والنحيلة... ظهره الذي برز وهو يمد يده ليحضر فنجانين من الخزانة فوق الحوض.

يا إلهي، أشاحت بوجهها ثم استدارت دورة كاملة أخرى. لم تشأ أن تتأمل... نقاط قوته.

راحت تجول بعينيها في أرجاء الغرفة بحثاً عما يمكن أن يلهيها. وحط نظرها على لعبة شطرنج، رقعة جميلة مصنوعة يدوياً.

تردد صدى شهقتها المتحفظة في صمت الغرفة، فاستدار كينت ليواجهها سائلاً: «ما الأمر؟».

تلفّت بحثاً عن عنكبوت أو سحلية أو أي حشرة قد تكون أخافتها.

أشارت بإصبعها وهي تسأل: «أنا... هل أنت من صنع هذه؟».

شخر وهزّ كتفيه بلامبالاة. فأردفت وهي تحدّق فيه محاولة أن تجد صانع هذه القطعة الفنية في الرجل القاسي، العبوس الذي يقف أمامها: «إنها رائعة. إنها من أجمل ما رأيت في حياتي».

ـ إذن، عليك أن تخرجي أكثر.

كانت لتضحك لجوابه هذا لو لم تغرق في تأمل هذه القطعة الفنية الفريدة. كانت كل قطعة من قطع اللعبة محفورة على شكل شجرة. وقد خطفت المهارة والحرفية في تنفيذ هذا العمل أنفاسها. اتخذ الملكان شكل شجرتيّ سنديان، والملكتان شكل شجرتي صفصاف والوزيران شكل شجرتي حور. يا له من عمل يدوي!

حبست أنفاسها وتقدّمت لترفع بيدقاً اتخذ شكل شجرة بتقسية مصغّرة فأذهلتها التفاصيل. استطاعت أن ترى كل وردة اسطوانية الشكل على الأغصان الرقيقة. كيف أمكنه أن يفعل هذا، بحق السماء؟

ـ هل تلعبين؟

انتفضت وقد فاجأه قربه منها إذ داعبت أنفاسه خصل الشعر عند صدغها حين انحنى ليراقب الحجر الذي تحمل في يدها: «أنا..».

تراجع خطوة إلى الوراء فوجدت أنها استعادت قدرتها على التنفّس مجدداً: «ليس كثيراً».

وأعادت البيدق إلى مكانه على الرقعة وقد تملّكها الحزن. حاولت أن تبتسم وهي تضيف: «حاول أبي أن يعلّمني قبل أن يمرض».

بدا كينت بلاك قاسياً وصلباً كالحجر باستثناء عينيه اللتين أصبحتا أرق فتحولتا من عاصفة شتوية إلى نسيم ربيعي عليل في لمحة بصر. وراح قلب جوزي يخفق كالمجنون بين ضلوعها.

www.liilas-romance.com

ـ أنا آسف بشأن والدك يا جوزي.

ـ شكراً لك.

لقد ناداها جوزي.

ـ وآسف لأن الفرصة لم تتسنَ له كي ينهي تعليمك لعب الشطرنج.

ـ وأنا أيضاً.

لم تستطع أن تشيح بنظرها عنه.

ـ سأعلّمك إذا شئت.

تساءلت عما إذا فاجأها عرضه هذا بقدر ما فاجأه هو نفسه، لكنها لا تنوي أن تدعه يفلت من الشرك فردت: «أود ذلك كثيراً».

همهم وتراجع خطوة إلى الخلف. وبغمضة عين عادت عيناه وكأنهما نحتتا من الصخر القاسي كملامحه الأخرى كلها.

وأصرّت عليه: «متى؟ الآن؟».

ـ لا.

وتوجّه نحو الطاولة ثم أضاف بعد لحظة صمت: «بعد ظهر يوم الاثنين. في مثل هذا الوقت».

اليوم هو الثلاثاء ما يعني أن ستة أيام كاملة وطويلة تفصلها عن نهار الاثنين. كانت واثقة من أنه تعمّد هذا. لقد فوّتت أصلاً أحد الدروس إذا ما احتسبنا البارحة.

أرادت أن تضرب الأرض بقدمها لشدة شعورها بالاحباط. والبريق الذي ظهر فجأة في عينيه جعلها تدرك أنه قرأ أفكارها ما دفعها لأن ترغم نفسها على رسم ابتسامة وقالت: «إني أتطلع إلى ذلك».

لا يحق للشحاذ أن يختار وعليها الآن أن تجد ما تفعله لتملأ فراغ ستة أيام. لم تشأ أن يتراجع عن عرضه. وتساءلت إن كانت قادرة على اقناعه بأن يخصص لها يومين في الأسبوع؟ لكن نظرة

واحدة إلى وجهه كانت كافية لتعلمها أنّ عليها أن تدع المناقشة الآن.

ـ لِمَ لا نحتسي الشاي في الخارج؟

وحمل صينية وضع عليها ما يحتاجه لتقديم الشاي فلم يبقَ أمام جوزي أيّ خيار سوى اللحاق به إلى الخارج.

قطعت قطعتين من قالب الحلوى فيما سكب الشاي في كوبين كبيرين. لم يحاول أن يتحدّث إليها والغريب في الأمر أنّ جوزي لم تمانع إذ راحت تتأمل بدلاً من ذلك. التهم قطعة الحلوى بنوع من الجوع ترك أثراً غريباً في داخلها، أثراً دافئاً، غامضاً ومشوّشاً.

واضطرت لأن تشيح بنظرها عنه عندما راح يلعق الشوكولا عن أصابعه. قدّمت له قطعة أخرى ثم قالت: «هل ترعرعت في هذه الأنحاء؟».

ـ لا.

تراجع في كرسيه، وعاد وجهه إلى انغلاقه السابق فتسللت خيبة الأمل إلى أعماقها. إنه لا يرغب في أن تتحرى عن ماضيه وخلفيته. إلاّ أنها تعلم على الأقل أنّ سمة قوته الفريدة ليست شيئاً فطرياً تأصّل في داخله لأنه ترعرع هنا في أيغل ريتش. إذن، ثمة أمل لها.

رمقها بنظرة حذرة فابتسمت له وقالت مشيرة إلى قالب الحلوى: «إنه مجرد خليط معدّ مسبقاً. يمكنني أن أحضّر أفضل منه».

ـ إنه جيّد.

لقد تحسّن سلوكه لكن الحذر لم يفارق عينيه ما جعلها تشعر... بالغرابة. ولم تحب هذا الاحساس فبحثت عن شيء غير هام تقوله. حدّقت في قالب الحلوى وارتعشت شفتاها: «شعرت بالأسف لأني لم أجلب معي زينة أرشها على سطحه».

غصّ كينت بالحلوى التي يتناولها.

ـ ثم خطر لي أنك لست من النوع الذي يهوى الزينة. لعلك من النوع الذي يفضّل قطع الشوكولا الصغيرة على قالب الحلوى.

حدّق كينت فيها ثم تلاشى حذره فردّ رأسه إلى الخلف وضحك. هذه الضحكة غيّرته كلياً وخطفت أنفاس جوزي.

وفجأة، اتضحت لها الصورة بشكل متألق ورائع. وأصبح بإمكانها أن تتخيّل كينت هذا وهو يقبّل امرأة. رأت ذلك بألوان مشرقة وزاهية.

لقد رأت الصورة لكن هذا لا يعني أنها ترغب في رؤيتها تتحقق في الواقع.

حرّك كينت كتفيه ماطاً عضلاته المتيبّسة. لقد قضى معظم يومه في إصلاح سياج مكسور وهو يتوق لاحتساء كوب من الشاي كما اعتاد أن يفعل بعد ظهر كل يوم وسيتناول ما تبقى من قالب الحلوى الذي خبزته جوزي بالأمس. لا يتذكر متى كانت آخر مرة تناول فيها شيئاً لذيذاً بهذا القدر. وأصدرت معدته صوتاً طويلاً وخافتاً لتعبّر عن تذمّرها فيما سال لعابه. ومدّ يده ليفتح البوابة الخلفية لكنه جمد مكانه.

ـ كينت؟

جوزي.

أنعم النظر من فوق السياج ووجدها تقف على الدرجة العليا لمنزله وقد رفعت يدها لتطرق بابه الخلفي. وكانت تحمل في يدها الأخرى طبقاً لما بدا له كبسكويت خُبز للتو.

تذمّرت معدته مجدداً. التمع شعرها تحت أشعة الشمس فالتوت معدته. لم يصدّق أبداً أنه شبهها ذات يوم بالفأرة. وتحرّك في صدره شعور بالتوقّع فمد يده ليفتح البوابة عندما تجلّت له الحقيقة الساطعة.

لا يمكن لهذا أن يحصل. إنه لا يقيم حفلات شاي بعد الظهر.

وذكّره صوت ساخر في رأسه: وأنت لا تعطي دروساً في الشطرنج أيضاً.

ـ كينت؟

صوتها الناعم شدّه إليها. والتفتت لتراقب المكان بحثاً عنه فأطلق شتيمة خافتة وانحنى بسرعة مختبئاً خلف السياج.

الرجال الناضجون لا يختبئون خلف الأسيجة. بالله عليكم، ما الضير في احتساء كوب آخر من الشاي معها؟

وقطّب بشدة. إنه يعلم تماماً كيف يمكن لهذا أن يؤذي، فقد رأى الوحدة في عينيها. إذا ما احتسى الشاي معها مجدداً اليوم فسيصبح الأمر عادة، روتيناً يومياً. وستبدأ بالاعتماد عليه. وعبس وهو يتأمل يديه اللتين أصبحتا خشنتين بسبب العمل الشاق. لن يدع هذا يحصل.

لقد رأى بريق الإدراك في عينيها بالأمس وهو يعلم إلى أين يمكن أن يقود هذا.

إذا ما جالس جوزي بيترسون واحتسى معها الشاي بعد ظهر هذا اليوم فستصبح في سريره مع نهاية الأسبوع.

لكنه يعلم أن امرأة مثل جوزي لا تتورّط في علاقات عابرة.

ورجل مثله ليس لديه المزيد ليقدّمه.

ابتعد عن السياج وعاد من الطريق التي قدم منها وقد تملّكه مزيج من الشعور بالرغبة والشعور بالذنب. حاول أن يقنع نفسه بأنّ هذا أفضل لكليهما إلا أنّ الشعور بدا كاذباً وأجوف بطريقة ما.

وتدفّق الغضب ليكتسحه كلياً ما جعله يسرع الخطى. تباً لها لأنها اجتاحت مكانه! تباً لها لأنها اجتاحت ملجأه!

www.elromancia.com

3 ـ لست زميلك

استيقظت جوزي صباح الخميس على صوت المطر المتساقط. جلست على شرفتها الصغيرة في الكرسي التي اشترتها من غلاسكو في الأمس وقد أمسكت بفنجان القهوة بين يديها وراحت تحدّق في السماء الرمادية الكئيبة. وخشيت أن تجتاحها الكآبة إذا ما أفسحت لها المجال.

أنزلت يدها لتداعب رأس مولي وقالت: «يبدو أننا لن نتمكّن من القيام بنزهة اليوم».

هذا ما كانت تخطط له... نزهة طويلة، لاسيما بعد أن أكّد لها كينت أن الغوانا ليس حيواناً مفترساً.

وجاء المطر ليزيد الطين بلة.

تساءلت عما إذا أثّر المطر في عمل كينت. وتساءلت عما إذا كانت ستجده في المنزل إن طرقت بابه بعد ظهر اليوم حاملة معها الحلوى.

هل هو بخير يا ترى؟ إذ لم تقع عيناها عليه منذ بعد ظهر يوم الثلاثاء. ماذا لو وقع في أخدود ما وكسر ساقه؟ ماذا لو لدغته أفعى؟

توقّفي! إنه يعيش في هذا المكان منذ سنوات طوال، ولن يبدأ بكسر ساقه أو التعرّض للدغات الأفاعي لمجرد أنها ظهرت في حياته. كما أن مولي كانت لتعلم لو أنّ ثمة خطب ما. التفتت جوزي نحو الكلبة وعضّت شفتها. ستعلم، أليس كذلك؟

واجهي الأمر. كينت لا يحتاج الناس كما تحتاجهم هي. لقد جلست بالأمس في مقهيين مختلفين في شارع غلاسكو الرئيسي، ترتشف الضجيج والنشاط والصخب مع قهوتها. بعد بضعة أيام، وعندما تفوق العزلة حدّها، ستكرر التجربة.

لكنها لن تفعل اليوم. ستبدأ اليوم مشروعها الحرفي: الوسائد المطرّزة أو السجّاد المعلّق على الجدران أو تصنيع الشموع. أو يمكنها أن تنتهي من قراءة الصحف بعد أن اشترت كافة الصحف المتوفرة بالأمس ولم تتمكن من قراءة نصفها بعد. أو قد تبدأ بقراءة إحدى الروايات الست التي اشترتها.

أنهت قهوتها واتجهت إلى داخل الكوخ عازمة على اتخاذ قرار لكن كآبة ورتابة داخل الكوخ امتصتا طاقتها كلها. كان الداخل فظيعاً، بشعاً.

عندما لم تجد كينت في المنزل بالأمس، عادت إلى هنا وجلست في كرسي وراحت تحدّق في أحد الجدران حتى لفّها الظلام.

أخافتها الظلمة عندما عادت أخيراً إلى أرض الواقع ولم تشأ أن يحصل هذا مجدداً.

ـ أتعلمين ماذا يا مولي؟

ضرب ذيل مولي الأرضية في ردّ سريع فيما تابعت جوزي كلامها: «إذا أردت ألا أجن خلال الشهر الذي سأمضيه هنا فسنقضي يومنا هذا في تحويل هذا الكوخ إلى مكان يحلو العيش فيه».

وفتحت حقيبتها وراحت تعبث بمحتوياتها بحثاً عن الالهام. وفجأة، انفجرت ضاحكة. سارنغ! أحضرت معها لباس السارنغ!

فعلت هذا حين خُيّل إليها أنّ الأكواخ تعني أكواخاً صغيرة جميلة تنتشر في حدائق غنّاء تحيط بحوض سباحة يتخذ شكل بحيرة استوائية.

www.arabicromanca.com

فعلت هذا عندما تخيّلت أرائك وأراجيح مريحة وعصائر غريبة تُقدّم في ثمرات جوز هند تزّينها مظلات ملوّنة توضع بشكل أنيق.

تخيّلت راحةً ورفاهيةً واسترخاءاً. ولم يخطر لها أن ترى أراضٍ معزولة تمتد بعيداً بقدر الأماكن الفارغة في داخلها.

سحبت لباس السارنغ بسرعة ثم شغّلت جهاز الراديو الجديد حيث بحثت عن محطة تبث أغانٍ مرحة. ستتخلص من الكآبة وتدفعها بعيداً بطريقة ما. وستفي الموسيقى المرحة والنافهة بالغرض الآن، شكراً.

أخذت جوزي نفساً وقالت: «حسن، هل أنت مستعدة للاختبار الكبير؟».

هزّت مولي ذيلها.

ارتشفت جوزي ما تبقى من شاي في فنجانها وهبّت واقفة على قدميها وهي ترجو أن تنجح. لقد عملت لساعات على داخل الكوخ. والآن حان وقت الاختبار... ستدخل من الباب وترى إن كان الجو في الداخل ما زال يمتص منها الحياة.

اجتازت جوزي العتبة من دون أن تمنح نفسها فرصة إعادة التفكير ودخلت إلى الكوخ. حبست أنفاسها وقامت بدورة كاملة ببطء. تنهّدت بارتياح ثم ركعت على ركبتيها واحتضنت مولي بقوة قائلة: «هذا مكان يمكنني أن أعيش فيه خلال هذا الشهر، فما رأيك؟».

أجابتها مولي بأن لعقت جانب وجهها. انتفضت جوزي وهي تضحك. حسن، ماذا يمكن أن تفعل لما تبقى من يومها؟

ووقع نظرها على المفكرة الموضوعة على الطاولة، مفكرة: ما هي المهارات التي أتمتع بها؟ واعتصر قلبها فيما انخفض كتفاها وابتلعت كرة الذعر القاسية التي تشكّلت في حلقها.

ـ حلوى.

خرج صوتها عالياً ما جعل مولي تتوقف عن تحريك ذيلها.

وعادت جوزي تسألها: «ما الذي يفضّله سيدك برأيك؟ التمر والبندق أم التفاح والقرفة؟».

أطلق كينت شتيمة عندما تناهى إليه صوت الطرق على بابه الخلفي. وضع من يده قطعة الشطرنج التي يحفرها وألقى نظرة على ساعته. إنها الثانية بعد الظهر.

جاءت في الساعة الرابعة يوم الثلاثاء، ثم في الساعة الثالثة بالأمس. لن تحتمل أسبوعاً على هذا المعدّل.

هذا حسن. أطبق أسنانه بإحكام. أصبحت جوزي بيترسون مزعجة بقدر بعوضة صغيرة، كما أنها تصرّ بقدرها. يمكنه أن يتسلل من الجهة الأمامية ولن تدرك هذا أبداً.

لا. لن تطرده من منزله. وتعالى الطرق مجدداً فصرف بأسنانه، لكنه لن يسمح لها بأن تتسلل إليه. اندفع نحو الباب الخلفي وفتحه بقوة. كانت جوزي تقف هناك تماماً كما توقّع. لقد توقّف المطر عن الانهمار وأشرقت الشمس لكن شعرها بقي يلمع كخشب الصندل المصقول ما أثار حفيظته لسبب ما.

صاح بها: «ما الأمر؟».

لم يتظاهر بالصداقة، لم يدّعي التهذيب.

بدت الهزيمة على وجه جوزي، فقسّى قلبه وكره نفسه لأنه فعل هذا.

ـ أنا، حسن...

ورطّبت شفتيها مردفة: «حضّرت بعض الحلوى لكن الكمية كبيرة لشخص واحد. ومن المؤسف أن أضّيعها سدى فخطر لي أنك قد ترغب في تناول البعض منها».

اختلطت رائحة الحلوى المخبوزة للتو مع شذى عطرها الزكي. لم يستطع أن يتذكّر متى كانت آخر مرة تعرّض فيها لمثل هذا الاغراء. لكنه قال في حدة: «أخطأت في التقدير».

متماسك. يجب أن يبقى متماسكاً وقوياً.

تباً! تبدو الحلوى لذيذة. لذيذة إلى حدّ خطر، مثلها تماماً. وتملّكه شعور بأنه قد يعتاد طهيها. والحق يقال إنه قد يعتاد عليها ولا يمكن لهذا أن يحصل. سيخذلها... كما خذل...

التمع الذهب في عينيها فجأة. وارتعش ذقنها وهي تقول: «لم تمانع حين تناولت الكيك بالشوكولا ذاك اليوم. أمضينا نصف ساعة سارة جداً حول قالب الحلوى ذلك».

هذا ما حصل تحديداً. ولهذا السبب يجب ألا يتكرر الأمر مجدداً.

- اسمعي يا آنسة بيترسون...

- جوزي.

- أنا لست ممرضة زميلة لك ولست صديقك. أنا الرجل الذي استأجرت منه كوخاً مدة شهر وهذا كل ما يجمعنا معاً. هل فهمت؟

اتسعت عيناها لفظاظته وتحرّك فمها لتتمكن أخيراً من أن تقول من دون تفكير: «ألا تشعر أبداً بالوحدة؟».

- لا.

لم يعد يشعر بالوحدة، معظم الوقت على أيّ حال.

- إذن، كيف يمكنك ذلك؟

ورفعت الطبق وكأن الحلوى ستعطيها الرد الذي تحتاجه: «كيف يمكنك أن تعيش وحدك هنا طيلة الوقت ولا تمانع؟».

لاحظ أن سؤالها ليس مجرد سؤال نابع عن فضولية تافهة، فقد أرادت أن تعرف. ولعلها تحتاج لأن تعرف. وافترض أنه بدأ مسيرته تماماً مثلها الآن.

لم يكن يبحث عن التواصل الانساني طبعاً إذ نأى بنفسه عن ذلك منذ البداية. لكنه حفر الخشب وصقله تماماً كما تحضّر هي الحلوى. شغل نفسه بالماشية والأكواخ والحفر حتى اتخذت الأيام شكلاً خاصاً بها.

لذا، لم يكن بحاجة لأن يأتي أمثالها الآن ويعكّرن صفو أيامه، ويجعلنه يتوق إلى أمور لا يمكن أن تحصل.

هزّت رأسها وقالت: «لا يمكن أن تكون من البشر».

تمنى لو كان هذا صحيحاً.

- كلنا نحتاج الناس.

- صدقيني، العلاقات العابرة والفقيرة ليست ضرورية لراحتي.

شحب وجهها عند سماع كلماته هذه فاشمأز من نفسه أكثر. وقال لها بحدة: «ما الذي يجري بيننا برأيك؟ سترحلين بعد شهر».

وربما قبل شهر. وهذه الفكرة دعمت تصميمه مجدداً.

همست: «صديقان؟».

ضحك مصدراً صوتاً خشناً جرح حلقه وتركه جافاً. يجب أن يتخلّص منها. يمكنها أن تأسر أي رجل بعينيها الحزينتين والذهبيتين. سينتهي الأمر بدموع منهمرة، دموعها هي. وعندئذ، سيكره نفسه أكثر.

تراجعت خطوة إلى الخلف ومن ثم خطوة أخرى فيما شحب وجهها أكثر. وقالت: «أنت رجل كريه، لا تُطاق، أتعلم هذا؟».

نعم، هذا ليس بجديد عليه لكن جوزي لم تكن مهيئة لهذا.

- جرّبي المتجر الكبير في مارتين غولي.

وأشار برأسه إلى الطبق الذي تحمله في يدها قبل أن يردف: «قد يرغبون في طلبية أو اثنتين».

قد تأخذ ليز بيركينز جوزي تحت جناحها الحنون، وهذا سيفيدهما

معاً. وعند هذه الفكرة، صفق الباب في وجه جوزي قبل أن يتغلّب الشعور بالذنب عليه ويُدخلها إلى المنزل ويحاول أن يقدّم لها ترضية.

عادت جوزي إلى كوخها وهي ترتجف من الغضب والشعور بالإهانة. وراحت تتحدّث بعصبية وصخب إلى مولي.

ـ يا لها من افتراضات متغطرسة! علاقات عابرة؟ من يظن نفسه؟

رمت الطبق على طاولة المطبخ وراحت تذرع المكان ذهاباً وإياباً. لقد تخلّصت على الأقل من حضوره الرمادي في كوخها. وتملكها شعور بالرضا حين تأملت التغييرات التي أحدثتها.

ـ ولا يظنن أني سأجلس هنا طيلة فترة بعد الظهر لأنوح بسبب ما حصل.

عوت مولي ودسّت أنفها في يد جوزي، فركعت هذه الأخيرة على ركبتيها وحكّت أذنيّ مولي قائلة: «أنا آسفة يا فتاة. الذنب ليس ذنبك. أنت جميلة ووفية ولطيفة وأفضل من أن تكوني مع شخص مثله. ليس ذنبك إن كان سوء حظك جعل منه سيدك».

استدارت مولي وزمجرت مستمتعة حين حكّت جوزي بطنها: «أنت رائعة وجميلة».

مررت أصابعها على الندبة التي امتدت على بطن مولي وجمدت قبل أن تضيف: «أنا لا أفهمه».

إلا أنها ستعمل بنصيحته.

تطلّب الوصول إلى بلدة مارتين غولي اثنتي عشرة دقيقة ونصف تماماً. لم تكن مدينة متألقة لكنها ليست معدومة كلياً. لم يكن عدد منازلها يتعدى الدزينتين لكنها تملك كنيستها الخشبية الخاصة.

واكتمل المشهد بمركز البريد الذي تشير اليافطة عند نافذته إلى أنه يفتح أبوابه يومين ونصف في الأسبوع ويمتجر بركنز الكبير.

دفعت جوزي باب المتجر وانتظرت للحظات حتى تعتاد عيناها على العتمة. رمشت بعينيها عندما طالعها حجم المتجر من الداخل. تنافست أكياس العلف مع المعدات على شغل المساحة على الأرض إلى يسارها فيما عُلّقت معدات أخرى بمسامير إلى الجدران. وامتدت إلى يمينها رفوف مليئة بالمعلبات وكافة مواد البقالة المعروفة. وشغلت المساحة في الوسط ثلاجة قديمة الطراز.

نادتها امرأة نحيلة، في متوسط العمر، من خلف منضدة البيع في مؤخرة المتجر: «هل أستطيع مساعدتك؟».

شخص مبتسم. سارعت جوزي الخطى نحوها وقالت: «مرحباً، أنا جوزي بيترسون وسأقضي الأسابيع القليلة القادمة في ايغل ريتش».

ـ بريدجت أندرسون.

وضاقت عيناها وهي تصافح يد جوزي الممدودة قبل أن تضيف: «ايغل ريتش هو منزل كينت بلاك، أليس كذلك؟».

أومأت جوزي برأسها. ظنت أنّ كل واحد في مارتين غولي يعرف أخبار غيره. لعل كينت بلاك يضع حدوداً غير ودودة لعلاقته بسكّان المدينة الآخرين أيضاً؟

انحنت المرأة الأخرى إلى الأمام وكأنها قرأت أفكارها: «هذا متجر أختي وأنا أساعدها قليلاً».

هل هي زائرة جديدة مثلها؟ وتملّكت جوزي مشاعر الرفقة والمودّة.

ـ توفي تيد، زوج ليزي، في شهر تشرين الثاني الماضي.

ـ آه، هذا مريع.

ـ وهي ترفض أن يقول أحدهم كلمة سيئة عن كينت بلاك.

حقاً؟ حاولت جوزي أن تمنع حاجبيها من الارتفاع ليصلا إلى خط شعرها. إذن، لكينت بلاك صديق واحد على الأقل في المدينة؟

وأظلم وجه بريدجت وهي تضيف: «أما أنا فأجده ..».

وصمتت للحظة فاختارت جوزي كلمة أرادتها أن تكون لبقة: «رجل يحب الوحدة والعزلة».

شخرت بريدجت قبل أن تقول: «لقلت غير ودود وحتى عدائي إذا ما سألتني رأيي».

وتذكّرت نظرة كينت بلاك. نعم، إنها توافقها الرأي، لكنها لن تقول هذا في العلن بالطبع.

ـ لكن يمكن للمرء أن يفهم سلوكه نظراً للمأساة التي عاشها في الماضي وما إلى ذلك.

ـ مأساة؟

خرجت الكلمة من بين شفتيها قبل أن تتمكن من كبحها.

ـ حاول والده أن يقتل العائلة كلها فيما هم نيام فأضرم النار في المنزل مع ساعات الفجر الأولى. وحده كينت تمكّن من النجاة. لكن الحادثة قضت على أمه وأخته ووالده أيضاً.

فغرت جوزي فمها ودارت الغرفة من حولها فتمسكت بأعلى المنضدة: «هذا... لم أسمع في حياتي شيئاً مريعاً كهذا».

ـ كان الأب رجلاً عنيفاً من كافة النواحي.

أيّ نواحٍ؟

ـ أتريدين أن تسمعي الجزء الأسوأ؟

لا، لم تشأ فقد سمعت ما يكفي حتى الآن. لكنها عجزت عن أن تهزّ رأسها بعد أن تحوّلت إلى قطعة من جليد.

ـ كان كينت قد أخذ والدته وشقيقته لتعيشا معه كي يتمكّن من حمايتهما إلا أنّ الأمر لم ينجح.

أحست جوزي بغصة في حلقها. لا عجب في أن يقطّب كينت ويتذمّر وينعزل عن الناس كما يفعل. أن يخسر عائلته كلها بهذه الطريقة المريعة لأمر فظيع.

وسامحته على الفور على كل تقطيبة عدائية، وعلى كل كلمة قاسية وعلى كل الأوقات التي أدار فيها ظهره ومشى من دون أن يرمقها بنظرة. لكن، هل دفن نفسه بعيداً عن البشر كلهم هو الحل؟ وتذكّرت كيف التهم قالب الحلوى الذي أعدّته.

فتحت بريدجت فمها لتضيف ما خيّل لجوزي أنه مزيد من التفاصيل الرهيبة، فسارعت إلى رفع غطاء العلبة التي تحملها وقدّمتها لها قائلة في محاولة منها لتغيير الموضوع: «كنت أتساءل عن إمكانية تسويق حلويات معدّة في المنزل هنا؟».

ارتعش أنف بريدجت تقديراً ومدت يدها لتأخذ قطعة حلوى وتلتهمها بنهم: «يمكننا أن نرى كيف تُباع».

ولحست ما سال على أصابعها قبل أن ترد: «لا يمكننا أن نتنبأ بما قد يحدث عندما يشيع الخبر».

وضاقت عيناها وهي تتابع كلامها سائلة: «لكن، إن كنت في إجازة هنا، فلِمَ تتعبين نفسك بإعداد الحلويات؟».

غصّت جوزي إذ لم تشأ أن تصبح موضوع ثرثرة بريدجت. واختارت أن تكذب: «إنها هواية. أردت أن أجرّب وصفات جديدة طالما لديّ الوقت. هذا كل ما في الأمر».

أخذت بريدجت قطعة حلوى أخرى وسألت: «ما الأنواع الأخرى التي تحضّرينها؟».

ـ ما الأنواع التي يمكن أن تلقى رواجاً وتُباع هنا؟

ـ قطع الكراميل، الغريبة، فطيرة الليمون.

تساءلت جوزي ما إذا كانت بريدجت تعدد الأنواع التي تفضّلها هي.

ـ سيقام مهرجان الكنيسة يوم الأحد ونحن نبحث دوماً عن سلع نبيعها. لِمَ لا تعدّين كمية من الحلوى لنرى كيف يكون الإقبال عليها؟

مهرجان الكنيسة؟ هذا الأحد؟ أصبح لديها ما يشغلها خلال نهاية الأسبوع. وفجأة، لم يعد الوقت يمرّ ثقيلاً وقالت: «يبدو هذا ممتعاً».

ـ لدينا أنا وليزي كشك خاص، فهل ترغبين في الانضمام إلينا يا عزيزتي؟

ـ هذا لطف منكما.

ـ هل حضّرت يوماً قطع الشوكولا بالكراميل؟

هزّت جوزي رأسها بالنفي فنصحتها: «جرّبي. ولن تندمي أبداً».

زمّت جوزي شفتيها عندما مدّت بريدجت يدها لتأخذ قطعة حلوى أخرى. رأت أنّ الإقبال على ما تحضّره سيكون جيداً مما تشاهده الآن لكن المشكلة تكمن في أنه لن يتبقى على هذا المعدّل أيّ حلوى كي يتذوّقها سكان المدينة. لا بأس، فستحضّر كمية أكبر ليوم الأحد.

لكن، وفيما هي تقود سيارتها عائدة إلى ايغل ريتش، لم يكن مهرجان الكنيسة أو الحلوى أو الوصفات ما شغل بالها بل القصة الفظيعة التي روتها لها بريدجت عن كينت. ووجدت نفسها تتمنى لو تستطيع أن تفعل شيئاً من أجله، شيئاً أكثر من الحلوى بالشوكولا.

4 ـ مشاريع جديدة

توجّهت جوزي صباح يوم الجمعة إلى غلوسستر حيث اشترت كمية كبيرة من السلع التي تحتاجها وكتاباً لإعداد الحلويات.

وبعد ظهر اليوم نفسه، قامت بنزهة طويلة مع مولي. كان كينت محقاً فالممرات التي تقود إلى النهر جميلة جداً. لكن هذا لا يعني أنّ الفرصة أتيحت لها لتخبره إذ لم يقع نظرها عليه أبداً.

مساء يوم الجمعة، أعدّت صنفين من الحلوى.

وصباح السبت، أعدت المافين والكراميل وكيك الشوكولا.

وبعد ظهر السبت، وجدت قرّادة على خصرها.

فجلست على الفور وأخذت نفساً عميقاً وحاولت أن تتذكّر دروس الإسعافات الأولية. لكن عقلها أبى أن يعمل فما تعلّمته لا يشمل القرّادة بل مراقبة والدها وهو يموت بين يديها.

أرخت خصر سروالها القصير وعادت تتأمل القرادة مجدداً. لا بد أنها التقطتها أثناء نزهتها بالأمس. وأعادت القماش إلى مكانه على عجل. ماذا لو كان هناك المزيد؟

وتملّكتها رغبة في حكّ جلدها كله.

قالت بصوت عالٍ: «لا تكوني سخيفة».

لكن الذعر والأدرينالين تدفقا في داخلها. هل يؤثر الأدرينالين في القرّادة؟ وغصّت. لعله يحوّلها إلى قرّادة خارقة أو شيء من هذا القبيل.

www.liilas-romance.com

ـ تمالكي نفسك!.

عوت مولي وأسندت رأسها إلى فخذ جوزي التي حدّقت في العينين البنيتين وتشنّجت. ماذا لو أنّ حال مولي كحالها؟ كيف يمكن لنا أن نخلّص كلباً من القرادة؟ وهبّت واقفة. عليها أن تسأل كينت.

شعرت جوزي بأنها فخورة بنفسها لأنها لم تركض بأسرع ما يمكنها إلى باب كينت الخلفي لتقرعه بقبضتيها الاثنتين. وعندما وصلت، رفعت يدها وطرقت الباب مرتين.

تقطيبته كانت أول ما طالعها. ورفعت يدها قبل أن يتمكّن من أن يقول أي كلام حاد أو جارح: «أود فقط أن أطرح سؤالاً سريعاً. هذا كل ما في الأمر ولن تتطلب المسألة طويلاً».

سألها بنبرة حادة حين أنهت كلامها: «ما الأمر؟».

ـ ما... ما هو علاج القرّادة؟

حدّق فيها كينت للحظة. وأثارت العينان الزرقاوان مشاعر غريبة في داخلها فيما هو يتأمل وجهها. بعدئذ، أمسك بها من مرفقها وشدّها إلى الداخل بعد أن أطلق شتيمة بصوت خافت.

سألها بعد أن أطلق سراحها ووضع يديه على وركيه: «أين؟».

ـ أرجوك، افحص مولي أولاً فهي أصغر مني وقد سمعت أن القرادة تؤذي الكلاب كثيراً.

ـ وهي تؤذي البشر أيضاً.

وعندما وضعت جوزي يديها على بطنها ولم تنطق بكلمة، أضاف: «ستكون مولي بخير. فأنا أعطيها دواءً شهرياً خاصاً».

استرخت جوزي وقالت: «الحمد لله. ظننت..».

لكن جملتها علقت في حلقها الذي جف.

ـ أين هذه القرّادة؟

وتراءت لها فجأة صورة أصابعه القوية التي صبغتها الشمس على جسمها فتسارع نبضها: «لو قلت لي وحسب ما عليّ أن أفعله فسأتولى الأمر. لا أريد أن أزعجك أو ما شابه».

لم تشأ أن يلمسها كينت. وشعرت بأنه من الأفضل لها ولراحة بالها ألا يفعل. زمّ شفتيه وكأنه يعرف تحديداً ما تفكر فيه فتسارعت دقات قلبها وشعرت بها في حلقها المشدود.

ـ ما عليك أن تفعليه يا جوزي هو أن تشيري إلى مكان القرّادة.

وتحوّل التواء شفته إلى شبه تكشيرة وهو يقول: «ثقي بي».

هزّ أصابعه قبل أن يضيف: «أنا طبيب».

ـ نعم، هذا صحيح.

الأمر الوحيد الذي كانت واثقة منه هو أنه يستمتع بانزعاجها. وتذكّرت ما قالته بريدجت قبل يومين فاستسلمت متنهدة: «هنا».

وأزاحت حزام الخصر لتريه المكان.

جلس القرفصاء بجانبها وأدارها نحو الضوء بأصابع شعرت بها ناعمة على بشرتها. بعدئذ، استقام وأمسك بعلبة فازلين ثم عاد وجلس القرفصاء إلى جانبها ومسح جسم القرادة بكمية كبيرة من المرهم.

سألته بصوت ترافق مع أنفاسها المسموعة: «فازلين؟».

وتساءلت إن كان قد أحس بجريان دمها السريع تحت أنامله.

ـ تتنفّس القرادة عبر طرفها الخلفي. ولن تتمكن من أن تتنفس عبر الفازلين لذا ستعمل على الخروج. عندئذ، سأمسك بها بواسطة هذه.

ورفع ملقاطاً صغيراً قبل أن يردف: «هذا يعني أنّ ثمة احتمال في أن ينفصل الرأس عن الجسم».

www.elromancia.com

غصّت وقالت: «جيد».

لم تكن ترغب في أن تترك القرادة أي جزء من جسمها فيها.

ـ هل من قرادات اخرى؟

شقّت كلماته طريقها عبر الضباب الذي لفّ دماغها فسألته: «قرادات أخرى؟».

التوت شفتاه مجدداً وأجاب: «نعم».

ـ آه، يمممم...

وهزّت كتفيها قبل أن تضيف: «لا أعلم».

ـ قومي بدورة أمامي.

وهذا ما فعلته. فمرر أصابعه على خصرها فيما هي تدور ما جعل أنفاسها تتقطّع.

ـ ما من شيء هنا. والآن، اجلسي.

ودفعها نحو كرسي المطبخ وهو يضيف: «القرّادة كمعظم الكائنات الحيّة الأخرى تختار الأماكن الدافئة والمحمية لتعيش فيها».

ـ اووو... هاهههههه.

هذا كل ما تمكّنت من قوله.

ـ كخلف الأذنين ومؤخرة العنق.

أزاح شعرها إلى جهة واحدة فيما أصابعه تتنقل من جهة إلى أخرى. عندما اقترب منها إلى هذا الحد، صدمتها حرارته فضلاً عن رائحة رجولته وهي مزيج من الخشب ودخان الخشب والعشب المقطوع حديثاً. وتشنّجت أعصابها كلها.

ـ أشكرك على النصيحة التي أسديتها لي بشأن عرض الحلوى التي أحضّرها في المتجر.

أرادت أن تلهي نفسها بطريقة ما وبدا لها الحديث غير مؤذٍ نسبياً إذ يمنح فكرها ما يشغله.

ـ هل التقيت ليز بركينز؟

تلقّفت السؤال كحبل نجاة فأجابت: «امممم، لا».

أغمضت عينيها وابتلعت همهمة كادت تخرج من بين شفتيها.

ـ لم تكن ليز موجودة.

وأمرت نفسها بأن تركّز على الحديث قبل أن تردف: «التقيت شقيقتها بريدجت».

كان ردّ فعل كينت أبلغ من الكلام وعكس لها بدقة رأيه ببريدجت.

لم تلمه لاسيما حين تذكرت كم كانت بريدجت تواقة لاطلاعها على المعلومات التي تحملها. وتلوى الشعور بالذنب في أحشائها، فقد استمعت إليها. ألم تفعل؟ وسارعت تقول له: «سأشارك في مهرجان الكنيسة نهار الأحد أي في الغد».

ذكّرت نفسها بأن الغد هو يوم الأحد، لكنها لم تستطع أن تجزم بذلك مع وقوف كينت على هذه المسافة القريبة منها. كما لم تستطع أن تجزم بأي شيء آخر إذ قلب مقاييسها ووضعها رأساً على عقب.

جمد تماماً وسألها: «ألهذا كنت تعدّين حلويات متنوعة رائعة؟».

حسن، كيف علم أنها كانت تعدّ حلويات متنوعة؟

قال وكأنها طرحت السؤال بصوت عالٍ: «كانت الروائح تفوح في أنحاء التلة كلها».

وتحرّكت أصابعه على عنقها مجدداً وهو يتابع: «الرائحة زكية».

ـ ما الحلوى المفضّلة لديك؟

www.elromancia.com

إذا أخبرها فستُعدّ له ما يحب كعربون شكر ليس إلا. لن ترتكب الخطأ نفسه مجدداً وتتوقع منه المشاركة.

ـ لماذا؟

أجفلت عند سماعها النبرة الخشنة في صوته، فأجابت كاذبة: «ما من سبب. أحاول أن أستلهم وحسب».

أنهى التحقق من عنقها وتنفّست ارتياحاً حين ابتعد عنها. لكن ارتياحها لم يدم طويلاً إذ ما لبث أن جلس القرفصاء بجانبها لتفحّص الإصابة عند خصرها مجدداً.

ـ تحتاج لبضع دقائق إضافية.

وفجأة، ابتعد عنها وجلس على كرسي قبالتها فافتقدت جوزي دفء راحتيه وحرارة أنفاسه.

ضاقت عيناه وهو يتأمل وجهها: «هل أنت بخير؟ هل تشعرين بغثيان أو بدوار؟».

ـ لا.

لعل لمسته أفقدتها توازنها، لكنها شعرت بأنّ هذا ليس ما قصده بسؤاله.

ـ إذن، ورطتك بريدجت بهذه التحضيرات كلها؟

ـ لا.

ورفعت ذقنها، وأردفت: «تدير هي وليز كشكاً وسأساعدهما».

ضحك ضحكة قصيرة وقال: «إنها استغلالية. أعترف لها بذلك».

ـ لكني أردت أن أشارك.

لكنها عادت وتذكرت كيف قالت بريدجت إن المزيد من الحلوى ستفيدهم. كما طلبت منها أن تصل باكراً إن كان لديها الوقت لتساعدهما في ترتيب الطاولة للعرض.

هزّت رأسها بنفاد صبر. هذا غير مهم فهي تريد أن تساعد، وسيكون الأمر ممتعاً. إلا أنّ التواء شفتيه ضايقها: «هل ستحضر؟».

ـ أنا؟ لا بد أنك تمزحين؟

ـ لِمَ لا؟

ورفعت يديها مضيفة: «إنه مجتمع صغير وعليك أن تدعمه».

ـ بجعل كل بريدجت في المدينة تنشب مخالبها فيّ؟ لا، شكراً جزيلاً. لديّ أعمال أقوم بها يوم الأحد أفضل من التورّط في تركيب الأكشاك وتحريك دولاب الشوكولا.

أرادت أن تسأله عن هذه الأعمال التي ذكرها إلا أنها لم تفعل بل لم تجرؤ على ذلك.

ـ أظن أن الأمر سيكون ممتعاً. ليس عليك أن تفعل شيئاً. فقط...

سخر منها قائلاً: «فقط، ماذا؟».

أجابته بحدة: «شارك وحسب».

عادت وتمنت لو أنها لم تتكلم عندما استعادت في ذهنها ما عرفته بالأمس عن كينت. وشعرت بمعدتها تتشنج قبل أن تقول: «أنت محق. بريدجت امرأة ثرثارة لكن هذا لا يعني حكماً أنها شخص سيء. والناس في مارتين غولي ليسوا كلهم مثلها، أليس كذلك؟».

أظلمت عيناه وضاقتا وهما تنظران إليها. فاحمرت جوزي وراحت تلوي يديها معاً. وأدركت تماماً كم تبدو مذنبة فقالت من دون تفكير: «أخبرتني بريدجت بما حصل لأمك وأختك».

تراجع كينت إلى الوراء وكأن الكلمات صفعته على وجهه الذي شحب. وظهر خطان حمراوان على عظمتي خدّيه: «ليس من حقها..».

www.elromancia.com

فوافقته الرأي على عجل: «لا، لا يحق لها، لا يحق لها أبداً».

أرادت أن تمدّ يدها وتلمسه لكنها خشيت أن تفعل ذلك.

وتابعت كلامها: «أنا آسفة. ما حصل لهما..».

ورفعت يديها مجدداً قبل أن ترد: «لا بد أنه كان الوضع الأكثر ترويعاً في الوجود».

التمعت عيناه بشكل خطر فيما كررت: «أنا آسفة».

أرادت أن تقول أكثر لكنها لم تجد كلاماً مناسباً يُقال.

حدّق فيها وكأنه لا يعرف ما عليه أن يقول. ولم تعرف هي أيضاً ما عليها أن تقول. وانزلقت نظرته إلى خصرها قائلاً: «لا بد أنّ القرادة أصبحت جاهزة للخروج الآن».

وأخرجها قبل أن تدرك ذلك.

ـ شكراً لك.

انقطعت أنفاسها لشدة قربه منها.

وقفت وتراجعت بسرعة إلى الوراء قائلة: «هل ترغب في أن أحضر لك شيئاً ما من المهرجان؟».

ـ مثل ماذا؟

ـ لا أعلم.

تملّكها شعور بأنها ستعود للتلعثم مجدداً: «لعلك تتوق سراً لتناول صلصة الطماطم التي تعدّها السيدة ايلوود أو عسل السيد سميث؟».

ـ ما من سيدة ايلوود في مارتين غولي.

ـ هل من سيد سميث؟

ـ العديد منهم، لكن أحداً منهم لا يربي النحل.

اتجهت نحو الباب الخلفي وهي تسأل: «إذن، أنت لا تريد صلصة طماطم أو عسل؟».

ـ لا، شكراً لك.

ـ حسن.

وكادت تقع عن السلم الخلفي: «إذن، تصبح على خير».

ـ جوزي.

استدارت وقلبها يتخبط بين ضلوعها.

ـ أنا...

حبست أنفاسها لكنها لم تعرف ما الذي كانت تنتظره.

ـ عليك أن تستحمي. عليك أن تفتشي تحت إبطيك وخلف ركبتيك. في أي مكان يمكن للقرادة أن تصل إليه.

ـ حسن.

وانتظرت لكن عندما لم يضف أيّ كلمة أخرى، لوّحت له بيدها وابتعدت مسرعة.

غادرت جوزي في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، وقد علم كينت بذلك لأنه كان يراقبها. إذن، تمكّنت بريدجت أندرسون من إلزام جوزي بتوضيب الكشك؟

تذكّر كيف احتضنت جوزي مولي في اليوم الأول لوصولها. وتذكّر شعوره بمفاتن جسدها حين انزلقت عن تلك الشجرة واستندت إليه. هزّ رأسه وراح يطلق على نفسه كافة نعوت الغباء التي يعرفها. يمكن لجوزي بيترسون أن تعتني بنفسها وهي ليست من مسؤوليته.

قال لنفسه بصوت عالٍ: «اذهب وتفقّد القطيع».

وهذا لا يعني أن تفقّد الماشية يتطلب الكثير من الجهد، فيكفي أن يتحقق من مستويات المياه في الأجران ومن السياج وأن يتأكد

www.elromancia.com

من أنّ العجول الصغيرة لم تتعرّض لأي إصابة أو تبدو عليها إمارات المرض.

تطلّب تفقّد الماشية أقل من ساعة. وتساءل كيف وجدت جوزي الاحتفال، وراهن على أن حلوياتها بيعت بسرعة. كما راهن على أن بريدجت أبقتها عالقة خلف طاولة البيع طيلة النهار وأنّ الفرصة لم تتسنَ لها حتى لتشتري تذكرة لدولاب الشوكولا.

ستحب جوزي دولاب الشوكولا.

ـ اذهب ونظف الأكواخ.

أمسك بالدلو وبأدوات التنظيف وبالمكنسة الخشبية القديمة. وأشاح بنظره فيما هو يتجاوز كوخ جوزي. لكن منخاريه ارتعشا وكأنه تخيّل أنه لو أخذ نفساً عميقاً بما يكفي فستملأ رائحتها العطرة والزكية رئتيه.

حبس أنفاسه وحاول أن يطردها من ذهنه. ومع حلول موعد الغداء، كان قد انتهى من تنظيف الأكواخ فراحت الأسطح كلها تلمع من شدة الفرك تماماً كحالها قبل أن يبدأ حملة التنظيف هذه.

حوّل بصره مجدداً وهو يمر أمام كوخها لكنه تذكّر كيف امتلأت عيناها بنور ناعم عندما عبّرت له عن أسفها لما حصل لأمه وأخته. أراد أن يغضب وأن يضرب الأرض بقدمه وأن يرمي ما تقع عليه يداه، إلا أنّ ذاك اللمعان الناعم في عينيها جعله يقف جامداً.

لم يجرؤ أحد في مارتين غولي، ولا حتى ليز باركينز، على ذكر ماضيه، وهو لم يشجّعهم على ذلك. لم يأتمن شخصاً واحداً على أسراره ولم يثق يوماً بأحد لكن الكل يعرف ما جرى وقد تجنّب الجميع الخوض في الموضوع كما تجنبوا التحدّث إليه مباشرة. إلا أنّ جوزي لم تفعل. ولم يستطع إلا أن يُعجب بصدقها وأمانتها فضلاً عن شجاعتها.

وكرمها!

كرم كان واثقاً من أن بريدجت أندرسون تستغله حالياً.

أبعد المكنسة والدلو ثم ألقى نظرة من حوله. تباً! اعتمر قبعته وأمسك بمفاتيح سيارته. أحس برغبة مفاجئة في تناول صلصة الطماطم والعسل، ورفض الاعتراف بأكثر من ذلك.

حدد كينت موقع جوزي على الفور حيث وجدها تجلس وحيدة عند طرف صف من الطاولات الخشبية. كان شعرها يلمع لكن كتفيها انخفضتا. ورأى أبناء المدينة كلهم مجتمعين حول عربة مسطّحة في الطرف المقابل من الحقل حيث يقام المزاد العلني التقليدي. أطلق شتيمة وعدّل طرف قبعته ثم اتجه نحوها.

اتسعت عيناها حين رأته يقترب منها وسألت مدهوشة: «كينت! ما الذي تفعله هنا؟ أعني..».

وأشاحت ببصرها ثم عادت إليه مجدداً كما لو أنها تحاول أن تخفف من دهشتها: «لم يخطر لي أن مثل هذه الأعمال تهمك».

همهم: «لم يعد لديّ أي صلصة بندورة كما نفد العسل أيضاً».

ابتسمت فشعر وكأنها سددت إلى أحشائه ضربة. وأشارت بيدها إلى الطاولة قبل أن تقول: «هل يمكنني أن أغريك بتناول أيّ من منتجاتنا؟».

منتجاتنا؟ عرف فطائر ليز التقليدية والمخلل الذي تحضّره، لكنه راهن على أن جوزي أعدّت ما تبقّى. سألها: «منذ متى وأنت عالقة هنا؟».

ذوت ابتسامتها وردّت: «لا يهم. أنا واثقة من أن بريدجت ستعود ما إن ينتهي المزاد العلني و..».

ـ لم تتحركي من مكانك منذ وصولك في الصباح، أليس

كذلك؟ كما لم تسنح لك الفرصة لتلقي نظرة على المعروضات، أليس كذلك؟

ـ ما زال أمامي الكثير من الوقت.

ـ هل تناولت الغداء؟

راحت تضحك وردّت: «أنا أُعاقب لأني لم أتناول الفطور. أتشمّ هذه الرائحة؟».

وأخذت نفساً عميقاً ولاحظ أن لعابها بدأ يسيل قبل أن تضيف: «إنهم يعدّون النقانق خلف قاعة الكنيسة وجلّ ما أستطيع أن أشتمّه هو رائحة البصل المقلي. إنه عذاب خالص».

لاحظ أنها تمازحه وحسب لكن الغضب تملّكه رغماً عنه. تباً لبريدجت ووقاحتها!

ـ أين ليز؟

ـ مريضة.

لا بد أنها سئمت من أختها.

كانت بشرة جوزي فاتحة اللون فلاحظ أنها بدأت تكتسب لوناً زهرياً بسبب تعرّضها للشمس. وكانت قد وضعت ظلّة لحماية المأكولات لكنها لم تفكّر في حماية نفسها.

ـ تعالي.

وأشار بيده يأمرها بالخروج من خلف الطاولة الخشبية.

ـ لا يمكنني أن أغادر المكان.

ـ لِمَ لا؟ فالكل فعل.

ـ لكن... لكني قلت لبريدجت إني سأراقب المكان و... وهناك علبة المال و...

ـ أعطني إياها.

ـ لكن...

مدّ يده وأخذ العلبة ليضعها بعزم وسط الطاولة قائلاً: «والآن، يبدو لي أنك قمت بواجبك وبحصتك من العمل. إذا أرادت بريدجت أن تبيع فستعود إلى هنا حين تلاحظ أنّ المكان فارغ. إذن، أترين شجرة الصفصاف تلك عند ضفة النهر؟».

وأشار بيده فأومأت برأسها فيما تابع كلامه: «اختاري لنا ما نأكله ووافيني إلى هناك».

ـ لا يمكنني أن آخذ من السلع المعروضة.

ـ لِمَ لا؟ فأنت من حضّرها.

وقفت وردّت: «إنها للأعمال الخيرية!».

ضحك لرؤية تعابير الاستهجان على وجهها وكأنه وجّه إليها إساءة. جوزي بيترسون تجعله يشعر وكأنه أصغر بسنوات. سحب ورقة عشرين دولار من جيبه ورفعها كي تراها ثم وضعها في علبة المال.

فغرت فمها ثم قالت: «هذا كثير».

ـ إنه عمل خيري، أليس كذلك؟

حدّقت فيه ثم ضحكت فتغلغلت ضحكتها فيه.

ـ إذن، أنت جائع. أليس كذلك؟

ـ أتضوّر جوعاً.

وهو يحتاج إلى أكثر من السكر بكثير ليشبع جوعه.

ـ شجرة الصفصاف؟

ـ نعم، شجرة الصفصاف.

استدار وعبر الحقل متجهاً مباشرة إلى الشجرة قبل أن تسوّل له نفسه أن يرفع جوزي من خلف الطاولة ويعانقها.

• • •

www.elromancia.com

عندما وصلت إلى الشجرة، كان على جوزي أن تعترف بأن كينت اختار مكاناً رائعاً لتناول الطعام إذ جرى النهر بالقرب منهما فضياً، صامتاً، فسكّن الأماكن المتألمة والمجروحة في داخلها. وتساءلت ما إذا كان حال كينت مثل حالها.

جلسا على العشب تحت الشجرة فرحّبت بالظل وبالنسيم العليل الذي جعل الأوراق تتمايل تمايلاً يكاد يفعل فعل التنويم المغنطيسي.

ظهر كينت حاملاً معه سندويشات النقانق وشراب الليموناضة فتغلّب جوع جوزي المؤقت على همومها الأخرى. أغمضت عينيها وتلذذت بأول قضمة قائلة: «هذا مذهل».

وعندما فتحتهما مجدداً رأت كينت يحدّق فيها بطريقة غريبة. وفجأة، تذكّرت أصول وآداب حسن التصرّف فقالت: «شكراً لك».

ـ أهلاً وسهلاً.

أبرز لون قميصه الأزرق الباهت زرقة عينيه اللامعة كما أبرز سروال الجينز الضيق الذي يرتديه صلابة جسمه المشدود العضلات.

ـ أنا، يمممم!

ورفعت نظرها إلى الأعلى قبل أن تضيف: «أشكرك على إنقاذي... مجدداً».

ـ ما من مشكلة.

حوّلت نظرها نحو النهر وحاولت أن تعيد خلق السكون الذي شعرت به منذ دقائق فقط عند وصولها إلى المكان. وأكلت ما تبقى من سندويش النقانق بصمت.

مرت بهما ثلاث بطات صغيرة، بنية اللون ومنقطة؛ وراحت الطيور تتنقل بخفة على الضفة الأخرى. أخذت نفساً عميقاً فبدأ توترها يزول لكنها بقيت تشعر بحضور الرجل الجالس قبالتها.

أشارت إلى النهر وقالت: «عندما أنظر إلى هذا كله، أدرك لما اخترت أن تقيم هنا. هذا جميل».

ـ نعم.

وصمت لحظة قبل أن يضيف: «لا يمكنك أنت أن تعيشي هنا، أليس كذلك؟».

ـ لا.

لم تستطع أن تتخيّل نفسها وهي تقضي عمرها هنا، فالكثير من هذا يخيفها وإن كانت معجبة بجمال المنطقة الصارخ.

ـ أنت فتاة مدينة بامتياز؟

سددت إليه نظرة حادة لكن صفاء عينيه الزرقاوين لم تعكّره أيّ سخرية أو نقد. وردّت: «لا، لست فتاة مدينة».

رغم أنها تجد سهولة أكبر في تخيّل نفسها في المدينة منها في ايغل ريتش. وتابعت تقول: «أعيش في مدينة صغيرة هادئة على الساحل، على بعد ثلاث ساعات نحو الشمال».

وأشرق وجهها كله وهي تفكّر في مدينتها: «المكان جميل لاسيما في هذا الوقت من السنة».

عندما يختلط الصيف بالخريف حيث تبقى الأيام دافئة فيما تكون الليالي باردة.

ـ إن كان المكان جميلاً هناك، فماذا تفعلين هنا؟

تحرّك في داخلها الحزن الذي اختلط بشعور آخر أكثر إيلاماً. أهو الغضب؟ قمعت مشاعرها هذه وردّت: «توفي والدي بعد أن عانى لسنوات من الجنون. كنت ممرضته طوال الوقت فاحتجت للابتعاد قليلاً».

إنما إلى مكان لطيف، مكان يمكنها أن تغمض فيه عينيها

www.elromancia.com

وتتنفس بحرية أكبر. لم تشأ أن تأتي إلى مكان يجعل الرعب يدب في أوصالها حيناً ويخطف أنفاسها بسحره وجماله أحياناً أخرى.

مدّ كينت يده ليغطي بها يدها قائلاً: «لا بد أن الوضع كان صعباً».

أومأت برأسها وقد غصّت بدموع لم تذرفها لرؤية اللطف في عينيه الزرقاوين العميقتين. واستطاعت أن ترى أنه فهم ألمها!

عادت تنظر إلى النهر مصممة على ألا تبكي لكن قلبها راح يتخبط بين ضلوعها مع تغلغل حرارة يده إلى أعماقها. رفعت نظرها إليه فجف فمها. هل شعر بهذا هو أيضاً؟

اشتدت يده على يدها وكأنه يجيب عن سؤالها. وتسارع الابتهاج في داخلها عندما ضاقت عيناه وهما تتأملان شفتيها. ثلاث خطوات تفصل بينهما وهي تريد ردم هذه الهوّة سريعاً. إنها تحتاج إلى ذلك. لم تشعر يوماً بهذا التوق لأن يلمسها رجل. أرادت أن تغرق في أحضانه وألا تخرج لتلتقط أنفاسها.

مالت جوزي نحوه وقد انفرجت شفتاها تدفعها إلى ذلك قوى أعظم من المنطق. وجمد الزمن من حولهما وفقد أيّ معنى له باستثناء قدرته على جعل حواسها أكثر تيقّظاً. أرادت أن تتنفس عطره الرجولي الحار ورغبت في أن تلف ذراعيها حول عنقه وأن تمرر أناملها في شعره الداكن.

لكنه ما لبث أن هزّ رأسه قليلاً وأبعد يده وتراجع إلى الوراء فيما تحوّل فمه إلى خط متجهّم وهو يحدّق في النهر. غمرتها خيبة الأمل وملأت فمها بطعم المرارة اللاذع.

خبت خيبة الأمل ليحل محلها الارتباك سريعاً: «أنا... حسن... هل ترغب في تحلية؟».

أمسكت بكيس الحلويات وكأنه طوق نجاة وأضافت: «لم أعرف ما الذي ترغب في تناوله فاخترت بضع قطع من الكاراميل، ونصف دزينة من بسكويت الشوفان وقطعة من فطيرة الليمون وأخرى من كيك الشوكولا».

وأخرجت كل نوع من أنواع الحلوى فيما هي تسميه ووضعتها بينهما. كان مبلغ العشرين دولار الذي دفعه يستحق أكثر من هذا بكثير لكنها لم تستطع أن تحمل المزيد. وأضافت متلعثمة وهي تكوّر الكيس الكبير وتضغطه لتحوّله إلى كرة صغيرة: «أعني، كان يمكن أن تحصل على كيك الجزر أو المافن. لكن إن كنت تفضّل نوعاً آخر فأنا واثقة..».

مدّ يده وأوقف حركتها فجفّت الكلمات المتبقية من جملتها في حلقها. وتسارع نبضها الأحمق في عنقها.

ـ لم تكن بالفكرة الجيدة.

أدركت أنه لم يكن يتحدث عن الحلوى بل عن معانقتها فأومأت برأسها فيما تشنّجت حنجرتها وهي تجيب: «أعلم هذا».

تراجع إلى الخلف وسألها مشيراً إلى الأطباق: «ما الذي ترغبين فيه؟».

اختارت قطعة من البسكويت ليس لأنها تشعر بالجوع بل لأنها أرادت أن تجد ما تفعله. في الواقع، لم تعد تشعر بالجوع أبداً أو على الأقل بالجوع للطعام.

ألقت نظرة من فوق كتفها، بحثاً عن شخص ما أو شيء ما وفغرت فمها حين رأت حجم الحشد الذي يتناول الطعام في الحقل خلفها: «من أين جاء هؤلاء كلهم؟».

التفت كينت ثم هزّ كتفيه وتمدد على جانبه قبل أن يجيب:

«سمعت أنّ السوق ينشط في فترة بعد الظهر. وقد بلغ خبره مسامع سكان غلوسستر في السنوات الأخيرة».

نظرت إليه وحاولت ألا تلاحظ كيف مدّ جسده في ما يشبه الدعوة وسألته: «لماذا؟».

ردّ وهو ينزع الورقة الشفافة عن كيك الشوكولا: «بدأ صيت بعض المنتجات المحلية يشيع».

انتصبت أذناها وسألت: «مثل ماذا؟».

ركعت على ركبتيها لتراقب الجموع.

ـ أتعنين غير صلصة الطماطم والعسل؟

التفتت إليه ثم ضحكت. إذن، يمكن لكينت العبوس الذي يرفع راية لا تقتربوا مني كثيراً، أن يطلق نكتة... وأن يبتسم فيما هو يفعل هذا. يمكن أن تُعجب به مع الوقت، أن تُعجب به كثيراً.

ـ إذن، كنت محقة في تخميني، أليس كذلك؟

ـ نعم إذا استبدلت الصلصة بمخلل الشوكروت الذي تعدّه ليز.

غضّنت ابتسامته الخطوط حول عينيه فرفضت معدتها أن تهدأ.

ـ هذا المخلل شهير ولسبب وجيه، فما من شيء يضاهي سندويش سمك الهفّ مع مخلل الشوكروت.

سجّلت كلامه هذا في ذهنها لتعود إليه لاحقاً.

ـ باستثناء هذه ربما!

ولمعت عيناه فيما هو يمضغ كيك الشوكولا: «يا إلهي يا جوزي».

وحدّق فيها بشيء من الإعجاب ومن الرعب معاً قبل أن يضيف: «هذا..».

ـ جيد؟

ـ بل أكثر من جيد.

ـ أخبرتك أني أعد وصفة ألذ إذا ما توفرت لديّ المكوّنات.

ضحك عندما رفعت رأسها في حركة اعتداد بالنفس.

ـ ما الذي عليّ أن أبحث عنه أيضاً؟

ـ صابون كلويه المعدّ في المنزل. رأي الجماهير منقسم بين الصابون برائحة الفراولة والصابون الناعم برائحة الحامض والآس.

ـ آه، حسن. سأشتري النوعين.

وأشارت إليه بإصبع الاتهام قائلة: «هذا ما عليك أن تضعه في الأكواخ، فالناس سيحبون ذلك».

ورمقته بنظرة ماكرة قبل أن تسأله: «ماذا عن العسل؟ هل هو مشهور أيضاً؟».

تناول ما تبقى من الكيك وابتسم قبل أن يجيب: «سأعرّفك إلى مربّي النحل المحلي، فرايزر تود العجوز. سيبيعك بعض العسل من القفير مباشرة مع قطعة من الشهد فيه. لن تتذوّقي عسلاً مثله أبداً».

سال لعابها ودفعت طبق البسكويت نحوه فمن الأفضل أن تحافظ على شهيتها لتتذوّق الأنواع التي تحدّث عنها.

ـ أتظنين أنّ عليّ أن أكسب المزيد من الوزن؟

ـ أنت من قال إنه جائع. ما زال عليك أن تتناول قطعة فطيرة الليمون وبعض قطع الكراميل.

ـ سأحتفظ بها إلى وقت لاحق.

وأشار برأسه نحو الأكشاك التي تجمّعت حولها الحشود وأردف: «ظننت أنك تتوقين إلى جعلنا نختلط بهم فنكافح للحصول على السلع التي نريد قبل أن تنفد».

أحبت طريقته في استخدام صيغة الجمع فهذا يعني أنه ينوي

www.elromancia.com

البقاء هنا لبعض الوقت. تراقص الدم في عروقها، ورفعت يداً طوّقت المشهد الممتد أمامهما كله: «سأستمتع بهذا أولاً».

- بِمَ ستستمتعين؟

- بمراقبة الناس وهم يمرحون، بسماع ضحكاتهم. هذا ما عنيته حين قلت لمارتي وفرانك إني أحتاج إلى استراحة.

جمد كينت في منتصف عملية المضغ. وبعد لحظات، راح يمضغ ببطء ما تبقى من قطعة البسكويت ثم ابتلعها قبل أن يسأل: «ألا ترغبين في أن تكوني جزءاً من ذلك؟».

- ربما.

لم ترفع نظرها عن الحشد وكأنها تحاول أن تشبع جوعها: «أود أن استمتع بهذا أولاً. آه، ثمة فنان يضع أدواته».

- إنها أحد أسرارنا الخفية.

جمع كينت ما تبقّى من طعام وأعاده إلى الكيس ثم مدّ يده إلى جوزي وقد بدا اللطف على ملامحه: «تعالي، لِمَ لا أريك أفضل ما تقدّمه المدينة؟».

كانت جوزي أكثر من سعيدة حين وضعت يدها في يد كينت السمراء والقادرة وتركته يشدّها لتقف على قدميها وأكثر من مستعدة لتختلط بالحشد الضاحك السعيد وتصبح جزءاً منه.

5 ـ المهرجان

وبعد بضع ساعات، وبّخته جوزي وهي ترتمي على إحدى الطاولات: «يجب أن تخجل من نفسك».

- أخجل من نفسي؟

ما الذي...؟ لقد بذل جهداً جباراً ليلعب دور الرفيق الاجتماعي لجوزي طيلة فترة بعد الظهر، وظنّ أنه نجح في ذلك.

لم يتطلّب ذلك جهداً فعلياً أو حتى أيّ جهد إنما كلّفه أكثر من نظرة تأملية رمقه بها السكّان المحليين. لكن هذا لا يهمه فثرثرتهم لا يمكن أن تمسه ولن تؤذي جوزي أيضاً لأنها سترحل بعد ثلاثة أسابيع.

ثلاثة أسابيع، وإياك أن تنسى هذا! مدّ ساقيه الطويلتين تحت الطاولة ليجلس قبالتها في حين شعر أنّ ما عليه أن يفعله هو أن يقف على قدميه ويفر في الاتجاه المعاكس.

لكنه لم يستطع. عندما صرّحت جوزي عما أرادته فعلاً في عطلتها، فيما عيناها الجائعتان تتأملان الحشد ويداها مسترخيتان بشكل غريب وغصن صغير من شجرة الصفصاف يداعب كتفها ويعلق بشعرها، كوّن فكرة واضحة عما تخلّت عنه عندما اختارت أن تتولى رعاية والدها.

لم تكن بحاجة إلى عطلة تقضيها معزولة في أعلى الجبال بل

www.elromancia.com

تحتاج لرؤية الناس ولتشعر بالتواصل مجدداً. تحتاج لصور حياة وضحك لتساعدها على طرد صور المرض والموت التي عايشتها مؤخراً.

لا يمكنه أن يغيّر واقع أنها عالقة بعيداً عن الحضارة في الجبل، لكنه أخذ عهداً على نفسه أن يجعلها تستمتع بهذا اليوم وأن يمنع أيّ شخص، بما في ذلك تلك الشريرة بريدجت أندرسون، من استغلال كرمها. وها هي الآن، تقول له إنّ عليه أن يخجل من نفسه؟

سألها وقد شعر بأنه متضايق أكثر مما أراد أن يعترف: «لماذا؟».

فتحت ذراعيها على اتساعهما ووجد نفسه يرغب في الارتماء بينهما. وقطّب سائلاً: «ماذا؟».

ـ انظر إلى هذه المنتوجات المحلية.

قدّر أنها اشترت من كل منتج وجدته، ما جعله يبتسم.

ـ مع وجود كل هذه المنتجات في متناول يدك، كيف أمكنك أن تبقي الأكواخ بهذه الحالة؟

ـ بهذه الحالة!

وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يردف: «أعلم أن ايغل ريتش ليس فندق الريتز، لكن..».

قاطعته بشخرة ساخرة وقالت: «يمكنك أن تقول هذا».

ـ اسمعي! أنت لست من نوعية الزبائن التي اعتدت استقبالها.

مالت إلى الأمام وقالت: «أعلم أنك تردد دوماً أنّ الأكواخ تستقطب الرجال الخشنين الذين يهوون الطبيعة لكن..».

واستقامت في جلستها وقد فتحت ذراعيها مجدداً.

تمنى لو أنها تتوقف عن فعل هذا. وسألها: «ماذا؟».

ـ هل يتطلب تحويلها إلى أمكنة أكثر جاذبية الكثير من الجهد؟ لا بد أنها تمازحه.

ـ حتى الرجال الخشنين، الذين يهوون العيش في الطبيعة والهواء الطلق، يحبون أن يجدوا جواً لطيفاً في المنزل بعد عودتهم من التسلّق أو صيد السمك أو أيّ نشاط آخر خشن وقاسٍ يقومون به.

فدمدم: «إذن... إذن، أنت تريدين مني أن أضع صابوناً بعطر الفراولة في الحمام وشموعاً بعطر الخزامى في غرفة الجلوس؟».

سيجعل منه هذا محط سخرية واستهزاء.

ـ ربما لا تستطيع أن تضع صابوناً بعطر الفراولة فهذا لن يعجب رجالك الخشنين لكن ماذا عن الصابون برائحة النعناع والأوكاليبتوس؟ سيضفي هذا لمسة محلية ولن يهدد رجولية أيّ منهم. ما العيب في هذا؟

ثنت ذراعيها وحدّقت فيه، فثنى ذراعيه على صدره وبادلها التحديق.

ـ دثاران من صنع السيدة غور سيفيان بالغرض أيضاً.

دثار؟

ـ فضلاً عن لوحة أو اثنتين. أعلم أنك لست من النوع الذي يقدّم الفواكه والأزهار...

جاء دوره ليشخر: «يمكنك أن تقولي هذا».

لكنها تابعت كلامها بإصرار: «لكن تقديم القليل من عسل السيد تود ومخلل ليز لفتة ودودة تفيد المدينة والضيوف في آن».

تمنى لو يستطيع أن يتجاهل كيف تتراقص الشرارات الذهبية في عينيها وتلتمع عندما تتحمس.

هذه ليست إشارة جيدة. عليه ألا يفكّر في معانقتها. شبك يديه

تحت الطاولة ليمنعهما من أن تمتدا وتمسكا بتلك الذقن الجميلة ليقرّبها منه.

ـ أتعلم ماذا؟

ـ ماذا؟

خرجت هذه الكلمة الصغيرة من بين أسنانه المطبقة، لكن فظاظته لم تعد تجعل عينيها تطرفان.

ـ أعتقد أنك تخشى أن تجعل هذه الأكواخ تبدو كمنازل مأهولة. تراجع إلى الخلف بسرعة.

ـ أظن أنك تخشى أن تجعل أيّ مكان يشبه المنزل.

شيء ما راح يتحرّك في صدره بشكل مؤلم. حاول أن ينكر ما قالته لكنه وجد نفسه عاجزاً عن ذلك، فسألها بحدة: «كل هذا لأني أحب البساطة ولا أهوى الزخرفة؟».

بالكاد طرفت عيناها وهي تجيب: «إما هذا وإما أنك تخشى أن تجعل الأكواخ تبدو جميلة بحيث تضطر لأن تتشارك جبلك مع الزوار الذين سيعتادون العودة في كل مرة والذين سيتزايد عددهم».

تحوّل الحراك في صدره إلى ألم.

ـ لعلك محقّة في هذا يا فتاة. فكينت لا يحب أن يشاركه أحد وحدته.

هبّ كينت واقفاً وقد التمعت عيناه سروراً عند رؤية عيني كلانسي وايتهول الداكنتين والمتراقصتين والشعر الأبيض الذي يكلل رأسه. ساعد العجوز على الجلوس قائلاً: «كلانسي، هذه جوزي بيترسون وهي ستبقى في ايغل ريتش لبضعة أسابيع».

قدّم نفسه قبل أن تسنح الفرصة لكينت ليفعل ذلك: «تشرّفت بلقائك. أنا كلانسي وايتهول».

وتأملت عيناه الداكنتان وجه جوزي ملياً فيما هو يصافحها وأضاف: «لديّ امتياز مشكوك فيه وهو أني أقدم سكان مارتين غولي».

ابتسمت جوزي إحدى تلك الابتسامات التي تصيب كينت في الصميم وقالت: «سرّني التعرّف إليك يا سيد وايتهول».

ـ ناديني كلانسي رجاءً، فالسيد وايتهول كان والدي.

ضحكت جوزي والتفتت إلى كينت لتشاركه سرورها. وكاد كينت يتأوه بصوت عال عندما تبع كلانسي حركتها. كان الرجل العجوز حاد الذهن ولم يحب كينت التخمينات التي ظهرت فجأة في عينيه كما لم يحب الابتسامة التي ارتسمت على شفتيه.

ـ هل عشت طيلة حياتك في مارتين غولي يا كلانسي؟

ـ أجل يا فتاتي.

ـ أراهن على أن لديك بعض القصص لترويها.

ـ بالطبع لديّ.

ونقّل كلانسي نظره بين جوزي وكينت قبل أن يسألها: «كيف تجدين الإقامة في ايغل ريتش؟».

ارتعشت شفتا جوزي والتقت نظراتها نظرات كينت مجدداً: «تتحسّن».

رفع كلانسي حاجبه متسائلاً تماماً كما توقّع كينت الذي وجد نفسه يهبّ واقفاً على قدميه. لم يكن يأبه برأي امرأة ثرثارة مثل بريدجت أندرسون لكن ما يفكر فيه كلانسي يهمه، وهو يريد ألا يفكّر كلانسي في شيء الآن.

ـ كينت؟

همسة جوزي أعادته إلى أرض الواقع فقال: «حان الوقت كي أرحل».

www.elromancia.com

وشدّ طرف قبعته بحيث غطت جبهته وأضاف: «أريد أن أتفقد ليز قبل أن أعود إلى المنزل».

ـ سمعت أنها مريضة. بلّغها سلامي.

عندئذ، أومأ كينت برأسه وابتعد. لكنه لم يعرف نظرة من تلك التي أحرقته أكثر... أهي نظرة كلانسي أم نظرة جوزي؟.

أشاحت جوزي بنظرها عن ظهر كينت الصلب وابتسمت مجدداً لكلانسي.

كانت عينا كلانسي ذكيتين، فأومأ برأسه نحو كينت قائلاً: «إنه فتى طيب».

طيب؟ فتى؟ بل رجل يثير الجنون. ولا يعني هذا أنها تفي الصخب الذي يثيره كينت في داخلها حقه، لكنها أومأت موافقة.

ـ لقد أنقذني من يوم عمل شاق خلف إحدى الطاولات.

ضحك كلانسي وسألها: «تمكّنت بريدجت أندرسون منك، أليس كذلك؟ تلك المرأة من النوع الذي يحب الإدارة وهي تحب السيطرة. كان عليها أن تعمل في حقل السياسة».

ضحكت جوزي لهذه الفكرة التي وجدتها ممتازة. وتساءلت إن كان كلانسي قادراً على تحديد ما يمكن أن تبرع فيه هي؟

ـ هل تستمتعين بعطلتك في ايغل ريتش؟

خانها ترددها وفضح أمرها: «أنا... المكان معزول نسبياً».

وهزّت كتفيها قبل أن تضيف: «أعني أنه جميل... الأجمة، النهر كما لم أرَ قط في حياتي السماء كما تراها هنا ليلاً».

لم تشأ أن يظن كلانسي أنها لا تقدّر المكان، وأردفت قائلة: «لكني... لا أظن أني خُلقت من أجل هذا القدر من الوحدة».

أومأ كلينسي برأسه قائلاً: «حسن. هذا ينطبق على كينت أيضاً».

تراجعت إلى الخلف بسرعة كبيرة بحيث كادت تقع أرضاً. وسألته: «هل أنت جاد؟».

التمعت عيناه للحظة وهو يجيب: «نعم يا فتاتي».

ـ لكن...

تلعثمت وهي تحاول التعبير عن أفكارها: «إنه خشن وقوي للغاية و... قاسٍ. ولا يبدو عليه أنّ الوحدة تزعجه».

وقطّبت وهي تضيف: «في الواقع، يبدو حريصاً عليها ولا يريد أن يتعدّى عليها أحد».

خصوصاً هي.

ـ اههه...

لكن كلانسي لم يتابع كلامه. راقبها الرجل العجوز بإمعان بعينين امتلأتا بالتخمينات فأدركت فجأة لما غادر كينت على عجل. وشعرت برغبة في أن تضحك لكن هذه الرغبة سرعان ما اختفت.

كان كلانسي الشخص الوحيد الذي التقته في مارتين غولي ووجدته يأبه لأمر كينت، فصداقتهما واحترامهما المتبادل لبعضهما البعض بديا جليين منذ اللحظة الأولى. مدّت يدها عبر الطاولة ولمست يد الرجل العجوز قائلة: «سأرحل عن هذا المكان بعد ثلاثة أسابيع، وكينت يظنني امرأة ضعيفة. سيسره أن يتخلّص مني، صدقني».

ضحك كلانسي وقال: «هذا ما يريدك أن تظنيه».

وربّت على يدها مضيفاً: «والآن، لِمَ لا تأتين لزيارة هذا الرجل العجوز عند عودتك إلى المدينة مجدداً؟».

ـ أودّ ذلك.

www.elromancia.com

ـ ذاك هو منزلي.

وأشار إلى منزل رائع قريب فابتسمت جوزي ابتهاجاً. بدأت الأسابيع الثلاثة القادمة تبدو أكثر إشراقاً.

حاولت جوزي أن تخفف من سرعة دقات قلبها وهي ترفع يدها لتدق الباب الخلفي لمنزل كينت. قالت عندما ظهر أمامها: «مرحباً».

حاولت أن تبتسم لكنها وجدت أنّ شفتيها أصبحتا كالمطاط، حالها في ذلك حال ساقيها.

تأملها للحظة ثم أجاب: «مرحباً».

لم يعبس ولم يقطّب حاجبيه بل رمقها بنظرة حذرة. تملّكها الارتياح وأملت أن يكون كينت الفظ والعدائي قد رحل إلى الأبد، إذ أحبت أكثر كينت الذي يضحك ويمازحها.

نظر وراءها وسأل: «هل كل شيء على ما يرام؟».

ـ نعم، طبعاً، أنا...

لقد نسي. أرادت أن تضرب الأرض بقدمها احتجاجاً وأرادت أن تصفعه. أرادت أن تبكي من شدة خيبة أملها. كانت تتطلع إلى هذا طيلة النهار و... وقد نسي.

لكنها لم تضرب الأرض بقدمها ولم تصفعه كما لم تبكِ بل تابعت محاولاتها لرسم ابتسامة على وجهها وقالت: «اليوم هو يوم الاثنين».

ضاقت عيناه وتجوّلتا على وجهها وكأنه يبحث عن آثار ضربة شمس ما، ثم قال بتمهّل وكأنه يوافق طفلاً على كلامه: «هذا صحيح».

ولم يساعدها تصرفه هذا على التخلّص من رغباتها الطفولية، فأخذت نفساً وعدّت حتى ثلاثة قبل أن تقول: «وعدت بإعطائي دروساً في الشطرنج».

ضرب جبينه بكفه وقطّب فتراجعت جوزي خطوتين إلى الخلف وصاحت به وهي تكبح جماح قدمها التي تاقت لتضرب الأرض ويديها اللتين أرادتا أن تسددا له صفعة: «لا تفعل هذا».

ازداد تقطيبه وسألها: «أفعل ماذا؟».

ـ تبدو على هذا النحو، تعود إلى لعبة الرجل ذي الشخصيتين.

ودفعها الكبرياء إلى رفع ذقنها قبل أن تضيف: «أعرف أنك لست زميلاً لي في العمل، وأعلم حتى أنك لست صديقي، لكن يمكننا على الأقل أن نتصرّف بطريقة حضارية مع بعضنا البعض ونستمتع بلعب الشطرنج سوياً، ألا يمكننا ذلك؟».

ـ يمكننا ذلك بالتأكيد.

ـ أمضينا وقتاً ممتعاً بالأمس.

ـ نعم.

تمنت لو يظهر المزيد من الحماسة. وجرجر قدميه سائلاً: «أما من كيك بالشوكولا؟».

ابتسم لكن الابتسامة لم تصل إلى عينيه.

تلعثمت وترددت طويلاً قبل أن تجيبه بالنفي ثم تذكّرت ردّ فعله في آخر مرة أحضرت فيها الحلوى وسألته: «ألم يكفك ما أكلته بالأمس؟».

ـ لا، أبداً.

هذه المرة شقت الابتسامة طريقها إلى عينيه فوجدت جوزي نفسها تتنفس بسهولة أكبر ووعدته: «الاثنين المقبل».

كان عليه أن يجد طريقة للتملّص من وعده هذا.

وقفت جوزي أمامه وقد ارتدت سروالاً قصيراً أبيض اللون

www.elromancia.com

وقميصاً أخضر فبدت أفضل من قالب الحلوى بالشوكولا. بدت أفضل من أي شيء آخر رآه منذ زمن بعيد، بعيد. وتملكه شعور بأنه كلما قل الوقت الذي يمضيه معها كلما كان ذلك أفضل فهي تجعله يرغب في أمور أجبر نفسه على نسيانها. لكن، عندما نظر إلى الوجه الذي جمع الأمل والخوف معاً لم يستطع أن يخذلها. لقد وعدها وسيفي بوعده.

- لِمَ لا نجلس هنا في الخارج؟

وأشار برأسه إلى المقاعد الموضوعة على الشرفة. لم يشأ أن يجلس في المطبخ، ولم يشأ أن يتغلغل عطرها في حواسه ويتسلل إلى منزله بحيث يصبح أول ما يشتمّه عندما يستيقظ في الصباح.

تنهدت وهي تجلس ثم حدّقت فيه بعينيها اللتين تلتمع فيهما شرارات الذهب ووضعت ساقاً فوق الأخرى. يا إلهي! لم يكن طولها يتجاوز المتر وستين سنتيمتراً لكن ساقيها تمتدان إلى الأبد. استدار وتوجّه إلى الداخل، وألقى نظرة ناقدة على المطبخ حيث وقف ثم قطّب.

أمرت نفسها حين عاد للظهور حاملاً رقعة الشطرنج: «ابتسمي».

بذل قصارى جهده كي يحوّل وجهه إلى قناع لطيف. في الأمس، وجد سهولة كبرى في الابتسام لجوزي وسهولة كبرى في مشاركتها الضحك، ولم تكن هذه عادة ينوي تكريسها.

- إلى أيّ مدى تجيدين اللعب؟

وتنهد حين حدّقت فيه بانشداه ثم أضاف: «ما الذي تعرفينه عن اللعبة؟».

- أعرف كيف تتحرك الأحجار.

6 ـ إنها نقطة البداية

وبعد أربعين دقيقة، استنتج كينت أنّ جوزي لاعبة شطرنج رهيبة. يبدو أنها تبغض الاستيلاء على أحجار خصمها بغضاً شديداً كما تبغض في الوقت عينه أن تتخلى عن أحجارها. كان يهاجم فتتراجع محاولة أن تجد طريقة لتنقذ كل حجر من أحجارها. لم تكن تفهم مفهوم التضحية بحجر من أجل الربح الأكبر. لم يكن لديها ذرة هجوم في جسدها.

وهو جسد جميل في الواقع.

توقّف. ركّز على الشطرنج. لا تبدأ بملاحظة... أمور أخرى.

لكن المشكلة تكمن في أنه أمضى درس الشطرنج كله في ملاحظة الأمور الأخرى. لاحظ كيف تجمد يداها بين حركة وأخرى وكيف تبدوان صغيرتين وجميلتين، ولاحظ كيف تعض على شفتها السفلى فيما هي تحاول تحل عقد اللعبة، وتنبّه إلى اللون الذهبي اللامع الذي بدأت بشرتها تكتسبه بعد تمضية أسبوع في الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس.

تعمّد أن يضع كرسيه بشكل يحول دون رؤية ساقيها، إلا أنه كان يعلم أنهما موجودتان على مقربة منه. وتساءل إن كان يستطيع أن يطلب منها أن ترتدي في المرة المقبلة قميصاً بكمين ولا يبرز جسمها، وأن تضع كيساً في رأسها.

www.elromancia.com

تململ في كرسيه، لكن هذا لم ينفعه كثيراً. لا يهم كم طبقة من الملابس سترتدي فهي لن تخفي الرشاقة غير المتعمدة لحركة يديها. وحتى عندما يغمض عينيه لئلا يلاحظ جسدها، تلاحقه رائحتها الزكية.

لم تثرثر وتلغو وهذا مؤسف لأن الثرثرة التافهة تثير أعصابه. وإذا ما أثارت أعصابه فقد يتلهى عنها أكثر... ويتلهى عن أمور أخرى. لكن لا، لم تمنحه حتى خشبة الخلاص هذه إذ جلست هناك، واضعة يديها على الطاولة، مركزة نظرها على اللعبة، وقد بدت مسترخية تماماً ومرتاحة كلياً.

وبتنهيدة اختلط فيها الاحباط بالارتياح، حرّك كينت ملكته ووضعها في مواجهة ملكها قائلاً: «مات الشاه».

وضعت جوزي بنعومة فائقة ملكها المحفور من الخشب على جنبه ثم نظرت إلى قطعها المصفوفة من ناحية كينت وقالت: «قد لا أعرف الكثير عن الشطرنج، لكنك تغلّبت عليّ للتو، أليس كذلك؟».

ـ نعم.

ـ أنا فاشلة جداً، ألست كذلك؟

ـ نعم.

إن كان محظوظاً فستتخلى عن محاولات التعلّم، لاسيما إن لم يشجّعها هو.

ـ سيتحسّن أدائي مع الوقت والتمرين.

تباً!

رفعت نحوه ذقنها الجميلة ما جعله يطلق شتيمة جديدة في سره. وأشارت إلى لوحة الشطرنج سائلة: «هل تحتاج إلى أيّ مساعدة في ترتيبها؟».

ـ لا.

ـ حسن، شكراً على اللعبة.

هبّت واقفة وسارت الهوينى، ولو لم يكن كينت يعرف نفسه لأقسم أن الغضب والاستياء يسيطران عليه وليس الشعور بالارتياح. فتح فمه لينادي لكنه عاد وأطبقه.

أمسك بلوحة الشطرنج وعاد إلى الداخل وقد تيبّست كتفاه كإحدى قطع لعبة الشطرنج.

ـ في أيّ اتجاه يا مولي؟

لهثت مولي والتصقت بساقي جوزي حين توقفت هذه الأخيرة عند مفترق طرق، لكنها لم تشر إلى الاتجاه الذي تفضّله.

زمّت جوزي شفتيها. لقد استكشفتا جنوب النهر في الأسبوع الماضي فهل عليهما اجتياز النهر أم استكشاف أعلى النهر؟ رفعت وجهها نحو الشمس لتجد متعة فائقة في دفئها، ولاحظت الطيف عند الجهة الأخرى من النهر فاتخذت قرارها على عجل: «سنتوجه اليوم نحو أعلى النهر يا مولي. فما رأيك؟».

اهتز ذيل مولي بقوة أكبر ما جعل جوزي تضحك. إذا ما سمعها أحدهم وهي تتحدّث بهذه الطريقة إلى الكلب لظن أنها مجنونة. إلا أنها بدأت تتطلع إلى نزهتها اليومية. لعلها بدأت نزهاتها كطريقة لتمضية الوقت وطرد الملل لكنها بدأت تشعر بأن جسدها يستفيد من منافع الحركة اليومية. وبما أنها لم تغادر المنزل إلا نادراً في الأشهر القليلة الماضية، أفادها أن تحرك عضلاتها وأن تملأ رئتيها بالهواء النقي. ستستمر في ممارسة رياضة المشي حتى بعد عودتها إلى منزلها.

www.elromancia.com

وستشتري كلباً أيضاً.

سارت برفقة مولي لما يقارب العشر دقائق قبل أن تصبح الأشجار متفرقة والنهر متسعاً وضحلاً أكثر ما جعل الخوض فيه أسهل. رذاذ المياه وتلؤلؤ أشعة الشمس على منحدرات النهر الصغيرة وألوان أحجار النهر الحمراء والبنية الجميلة شكّلت مشهداً أسرها.

ثم سمعت صوت تناثر مياه أعمق في مكان قريب خلف مجموعة أخرى من الصخور.

لم تكن تحب الأصوات القوية، وهذا الصوت يشير إلى حيوان بحجم مولي على الأقل. هل من خنازير برية في هذه الأنحاء؟ لم تشأ أن تكتشف ذلك. وبدأت تتراجع قائلة: «هيا يا مولي، حان وقت..».

ولم يتسنَ لها الوقت لتنهي جملتها لأن مولي نبحت وراحت تعدو إلى الأمام. يا إلهي! غمغمت جوزي ولحقت بها. ما الذي يمكن أن تقوله لكينت لو حلّ بمولي أي مكروه؟

تسلّقت جوزي إلى أعلى الصخور، آملة أن تستفيد من فارق العلو، ومستعدة لأن تلوّح بيديها وتصرخ عالياً لتبدو ضخمة ومخيفة بقدر ما ينتظرها في الأسفل.

كانت تستعد لإطلاق صيحتها الأولى عندما...

ـ مرحباً جوزي.

كادت جوزي تقع في النهر: «كينت!».

في الأسفل، كان كينت يحرّك قدميه في مياه بركة طبيعية شكّلتها الصخور، وقد ارتسم على وجهه تعبير ما بين التقطيب والتكشير. انزلقت المياه على شعره وعلى كتفيه العريضتين اللتين

اكتسبتا سمرة جميلة، فراح قلب جوزي يتخبّط بين أضلعها. كانت المياه صافية لكن ظل الصخور أخفى الجزء السفلي من جسده.

الحمد لله!

وعندما لم تجبه جوزي، ظلل كينت عينيه بيده ورفع نظره نحوها. لا بد أنه لاحظ كيف احمرّت وجنتاها، وكيف جحظت عيناها إذ رفعت ابتسامة بطيئة زاوية فمه وقال: «الأرض تنادي جوزي، حوّل».

سارعت لإخفاء ارتباكها وقالت: «أنا... حسن... سمعت صوت شيء يسقط في الماء».

ـ وقررت أن تتحري عن الأمر؟

ـ امممم، لا.

وانزلقت عن الصخرة قبل أن تسقط عنها.

جذبت نفسها إلى الخلف وسارعت إلى الجلوس على صخرة ثم لفّت ذراعيها حول ركبتيها لتمنعهما من الارتجاف وعادت تقول: «لا..».

بذلت قصارى جهدها كي تستجمع أفكارها، وتمكّنت أخيراً من ذلك: «بدا الصوت قوياً فقررت أن أعود من حيث أتيت».

ووجهت له ابتسامة اعتذار قبل أن تضيف: «أخشى أني لست مهتمة بلقاء أي فرس نهر أو دب قطبي أو ما شابه».

تحوّلت ابتسامته إلى تكشيرة وهو يقول: «آخر معلومات لديّ تشير إلى أنّ هذه الحيوانات لا تعيش في البرية الاسترالية».

كانت تكشيرته معدية إذ بادلته التكشير وقالت: «أظنك فهمت ما أعنيه. خنزير بري أو ما شابه».

ـ أنت في أمان هنا، لكن فكري في تسلّق أقرب شجرة إذا ما صادفت أحدها. اتفقنا؟

ـ حسن.

وسجّلت المعلومة في ذهنها.

ـ إذن، لِمَ قررت أن تتحققي مما يجري؟

ـ مولي اتجهت إلى هنا.

ـ وظننت أنّ المكان آمن؟

أرادت أن تضرب جبينها بكفها. لا بد أنّ المكان آمن فمولي أكثر جبناً من جوزي. لا بد أنها اشتمّت رائحة كينت أو شيء من هذا القبيل. وفجأة، شعرت جوزي بأنها أغبى مخلوق على وجه الأرض، فرطّبت شفتيها وردت: «هذا صحيح».

أرجع كينت رأسه إلى الخلف وضحك قبل أن يقول: «كاذبة. ظننت أنّ مولي تحتاج إلى حماية، أليس كذلك؟».

رفعت ذقنها وأجابت: «وما العيب في ذلك؟».

هزّ رأسه وابتسم لها قائلاً: «أنت حالة ميئوس منها يا جوزي، أتعلمين هذا؟».

قال هذا بلطف كبير فلم تنزعج.

ـ هذا المكان جميل.

ورفعت وجهها نحو الشمس والتفتت من حولها فلاحظت الثياب المكوّمة على صخرة قريبة: السروال، القميص... الملابس الداخلية. اتسعت عيناها وسألته: «هل أنت عارٍ يا سيد بلاك؟».

ـ أنا فعلاً كذلك يا آنسة بيترسون.

راهنت على أن الشعور بالماء البارد، الحريري على الجسد من دون قيود، أمر رائع. إنها الحرية.

ـ لم أسبح يوماً عارية.

ابتسم لها بتحدٍ وحرّك حاجبيه: «هل تريدين أن تجرّبي؟».

عليه أن يفعل هذا غالباً، أن يبتسم. فالابتسامة تخفف الخطوط البارزة في وجهه وتجعله يبدو كرجل يمكن لها أن...

هراء! يا لها من فكرة مجنونة. ابتسمت وعادت تجلس مستقيمة على صخرتها الدافئة: «لا، شكراً لك».

واتسعت ابتسامتها وهي تضيف: «إلا أنني سأكتفي بلعب دور المشاهد».

نعم، ثمة مشهد مغرٍ هنا. كانت عضلاته قادرة على جعل دقات قلب أي فتاة تتجاوز الحد المعقول.

ـ إذا لم تتوقفي عن النظر إليّ بهذه الطريقة فسأضطر إلى سحبك إلى هنا لتخفيف حرارتك.

دمدم كلماته دمدمة فاختفى لهوهما السابق ومزاحهما ليحل محلهما إدراك ساخن وثقيل للآخر. واكتسحتها الحرارة... ولم تقتصر على خدّيها.

إنها فكرة أخرى مجنونة. إذا ما جذبها إلى البحيرة حيث يسبح فلن تخفّ حرارة أيّ منهما. حاولت أن تتحكّم بملامح وجهها وقالت: «آسفة».

ـ سأخرج الآن.

تلعثمت وهي تجيبه: «آه... حسن».

ـ هلا استدرت من فضلك؟

ارتعشت شفتاها عند سماع سؤاله اللطيف وسألته: «لِمَ يا كينت، أتشعر بالإحراج؟».

نظر في عينيها وأجاب: «لا، لكني ظننت أنك من سيشعر بالإحراج».

www.elromancia.com

وهمّ بالوقوف، فأطلقت صيحة وقفزت عن صخرتها واستدارت فيما قلبها يتخبط. وتعالت قهقهته ما جعلها تجد صعوبة في عدم الاستدارة. وأجبرت نفسها على أن تخطو بضع خطوات نحو أعلى النهر، بعيداً عن الإغراء.

تخبّط قلبها بين أضلعها وكاد يخرج من صدرها، وراح عقلها يدور في دوامة. ألم تكن ترغب في أن تغيّر مسار حياتها؟ لعل هذا يعني أنّ عليها أن تخاطر قليلاً.

لم تعد التفكير في الأمر بل استدارت على الفور لتواجهه.

آه يا إلهي! لم تستطع أن تشيح بنظرها عن رجولته الواضحة.

حاولت أن تمنع قلبها من أن يقفز من صدرها. آه يا إلهي! هذا الرجل وسيم. وبدا الهواء أمام عينيها مثقلاً بالحرارة.

خطت خطوة نحوه قائلة: «أود أنّ أجرّب السباحة عارية».

سدد إصبعاً نحوها وحدّق فيها قائلاً: «ابقي حيث أنت».

وأظلمت عيناه حين تجاهلته واقتربت منه إلى حدّ استطاعت معه ملاحظة النبض المتسارع عند أسفل حنجرته.

ـ أنت لا تعرفين ما الذي تفعلينه.

خرج صوته خشناً من حنجرته وارتفع صدره وهبط.

ـ أنا أعرف تماماً ما أفعله.

ومدّت يدها ووضعتها على قلبه. تصلّب لكنه لم يتراجع.

ـ فكّري يا جوزي، فكّري!

خرجت الكلمات من فمه بقوة وكأنها حجر. وأردف قائلاً: «أنت لست من النوع الذي يتورط في علاقة عابرة. لا يمكنك أن تدّعي أن الأمر لن يعني لك الكثير. التقيت نساءً مثلك من قبل».

لكنه... لم يبتعد.

ـ ستخنقينني، وسأكافح لاستعيد حريتي.

وازدادت خشونة صوته وهو يضيف: «ستتجادل وستبكين».

وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يتابع: «ستتعقد حياتي وأنا لا أحب التعقيدات».

ـ تتعقّد؟ كيف؟

ـ قلت إنك لا تستطيعين العيش هنا وأنا لا أستطيع أن أعيش إلا هنا.

لا يستطيع أم لا يرغب؟ لكنها لم تعلّق. وتحت راحتها أخذ قلبه يدق بشكل أقوى وأسرع.

وعاد يكرر: «المسألة معقّدة جداً».

لكنها لاحظت ارتعاش ذقنه.

ـ بل على العكس من ذلك. المسألة غاية في البساطة.

ومدّت يدها وأمسكت بيده اليمنى ووضعتها على صدرها كي يتمكن من أن يشعر بدقات قلبها المتسارعة. وقالت: «ما المعقد في هذا؟».

بالكاد أنهت جملتها إذ امتدت ذراع كينت وأحاطت بخصرها ليضمها إليه بقوة. وتجاوبت معه بجوع لم تكن تعلم أنها تملكه، لم تكن تعلم حتى بوجوده في الحياة.

حملتهما المشاعر كتيار جارف يزيل ما يقف في طريقه، كرياح عاتية تحني رؤوس الأشجار. وشعرت بأنها متهوّرة وجامحة وحرة... ومدللة. شعرت...

ـ لا!

تراجع كينت إلى الخلف وحدّق فيها. ورأت الألم والعذاب في عينيه. أمسكت أصابعه بكتفيها وهزّها، لكنها شعرت بأنه يرغب في

www.elromancia.com

أن يهزّ نفسه. تحرّكت في محاولة منها للامساك بيده علّها تمحو الألم الذي اكتسح وجهه، لكنه أسقط يديه وتراجع بعيداً عنها.

دمدم قائلاً: «لن أسمح بحصول هذا».

شعرت بذراعيها محرومتين، باردتين همست: «أين أخطأت يا ترى؟».

خرجت الضحكة من حنجرة كينت خشنة فجرحتها. وضع يديه تحت إبطيه وشدّ قبضتيه وكأنه يتشبث بالحياة ثم قال: «لا تلعبي دور الفتاة الساذجة. لا يمكنك أن تتجاهلي الأثر الذي تتركينه في الرجال».

الأثر الذي تتركه في...

ماذا؟ هي؟ وفجأة، اتسعت ابتسامتها. تراجع كينت وكأنه رأى الومضة في عينيها وأدرك معناها. أمسك بقميصه في يده ثم انحنى لينتعل حذاءه.

دمدم لكنها لم تستطع أن تكتشف ما قاله. بدا لها وكأنه قال «أفكار مجنونة» وشيئاً ما عن فأرة، وهذا كلام غير منطقي أبداً.

أمسك بقبعته ثم ابتعد من دون أن ينطق بأيّ كلمة أخرى. راقبته جوزي حتى اختفى بين الأشجار ثم سقطت على ركبتيها ودفنت وجهها في فراء مولي وهي تهمس: «إنه يرغب فيّ».

لم تستطع أن تخفف الابتهاج الذي سرى في جسمها ولم تحاول أن تفعل.

ما يحتاجه هو بعض الوقت ليعتاد على الفكرة. هذا كل ما في الأمر.

7 ـ المريضة الجميلة

لم تقع عينا جوزي على كينت مجدداً قبل يوم الجمعة. مضت ثلاثة أيام كاملة منذ ذاك العناق على ضفة النهر. ولا يعني هذا أنها لم تحاول أن تراه، فقد أبقت عينيها شاخصتين علّها تراه فيما نشطت مخيّلتها وأخذت الأحلام تراودها.

ثلاثة أيام. حاولت أن تكبح نفاد صبرها وأن تذكّر نفسها بأنه يحتاج إلى وقت.

وفي يوم الجمعة، وفيما هي تترجل من سيارتها بعد زيارة لكلانسي، رأت كينت يتوجّه بخطى واسعة نحو كوخها وقد بدت أمارات التصميم على وجهه ما جعل قلبها يتخبّط بين ضلوعها. هل عاد إلى صوابه أخيراً؟ نزلت من سيارتها على عجل وركبتاها تكادان لا تحملانها.

وعندئذ، رأت الدلو والمكنسة في يده فهبط قلبها. لم يكن يبحث عنها، كما لم يكن متجهاً نحو كوخها بل إلى الكوخ المجاور له. لم يكن في نيته أن يحملها بين ذراعيه ويعانقها عناقاً مجنوناً.

وعلى مسافة ليست بطويلة، توقفا وحدّقا في بعضهما البعض كخصمين في نزال قديم، كل واحد منهما ينتظر كي يقوم الآخر بخطوة.

ابتلعت خيبة أملها... وعدم صبرها... واستعادت عناقهما ووضعته نصب عينيها ثم ابتسمت.

يمكن لكينت أن يتصرف بتحفّظ وبرودة حين يشاء. لكنها تعرفه وهي لا تنوي أن تسهّل الأمور عليه. لوّحت له بمرح وقالت: «مرحباً كينت. أترغب في احتساء القهوة؟».

مسّ طرف قبعته برفق وابتعد بسرعة.

اغرورقت عيناها فجأة بالدموع حين أحست بطعنة ألم تمزّق أحشاءها. وفي هذه اللحظة، رأت بوضوح ما رفضت أن تراه من قبل. كان كينت محقاً. إن لم تستطع أن تحول دون أن يعني لها عناق بسيط الكثير، فكيف إذا ما تورطت أكثر؟ واستندت إلى غطاء سيارتها. كيف يمكن لها أن ترحل في نهاية عطلتها إذا ما تورطت أكثر؟

لن تتمكن من الرحيل، وهذه هي الحقيقة التي أدركها كينت. ستتعلق به فينتفض ويثور. ستبكي وسيكره نفسه. وشعرت برعشة هزّت أوصالها. يا إلهي، ما الذي كانت تفكر فيه؟

أسست الأيام الثلاثة الماضية لوتيرة ناعمة في حياة جوزي اليومية. فكانت تستفيق باكراً، تحتسي كوب القهوة الأول على الشرفة مع مولي والطيور ثم تحضّر بعض الحلويات أو بعض البسكويت والفطائر ثم تقود سيارتها إلى مارتين غولي حيث المتجر الكبير.

التقت نهار الاثنين ليز التي شفيت من الزكام الحاد وانسجمت على الفور مع هذه المرأة. وفهمت لما كينت يقدّرها إلى هذا الحد. كانت ليز باركينز صاحبة قلب طيب، ترفض الثرثرة أو ذكر أيّ شخص بالسوء. وهكذا، تناولت جوزي وليز وبريدجت الفطور معاً حيث اجتمعن حول طبق من الحلويات وإبريق من الشاي.

بعدئذ، كانت تعود إلى المنزل لتغسل أطباقها وتنظّف كوخها وترتبه وتقرأ الجريدة. وكلما خطرت لها أي فكرة مقلقة، تعمد إلى طردها من ذهنها. ورأت أن مسألة ما ستفعله بما تبقى من حياتها

يمكن أن تنتظر حتى منتصف الأسبوع المقبل. حينذاك، ستعمل على إيجاد جواب على هذا السؤال الذي يشغلها، لكنها صممت أولاً أن تستفيد من أسبوعين من إجازتها لتسترخي تماماً.

كانت تعود إلى مارتين غولي عند الظهر لتتناول الغداء مع كلانسي. وعندما تعود إلى المنزل مجدداً، كانت تقوم بنزهتها اليومية مع مولي.

كانت جوزي تتمكّن في معظم الأحيان، خلال النهار، من إبعاد كينت عن فكرها. ومما لا شك فيه أنّ هذا يتطلّب منها جهوداً جبارة لكنها كانت تنجح في ذلك.

استيقظت جوزي نهار السبت وهي تعاني من السعال ومن ألم خلف عينيها فتجاهلت ألمها وأمضت يومها كالمعتاد.

في صباح يوم الأحد، أجبرت نفسها على النهوض من سريرها، وأخرجت الأدوات والمقادير اللازمة لإعداد الحلوى قبل أن تتذكر أنه يوم الأحد وليس عليها أن تحضّر الحلوى اليوم. فتحت الباب كي تتمكن مولي من الخروج ثم عادت بخطى بطيئة إلى سريرها وشدّت الأغطية حتى غطت رأسها. ستقضي يومها في السرير.

استيقظ كينت في الثانية صباحاً على صوت أنين وخدش بالأظافر تحت نافذة غرفة نومه. بعدئذ، أطلقت مولي نباحاً قوياً. أبعد أغطيته وهو يطلق الشتائم ثم اتجه نحو الباب الأمامي وفتحه على اتساعه. هل سمع أحد يوماً بكلب يخشى الظلام؟ دمدم: «هيا ادخلي!».

لم تحاول مولي أن تطرحه أرضاً لتشق طريقها بابتهاج إلى الداخل كما اعتادت أن تفعل بل نبحت باتجاهه ثم أدارت رأسها نحو الأكواخ.

باتجاه كوخ جوزي.

لعل الساعة هي الثانية بعد منتصف الليل، ولعل كينت مشوش بفعل النعاس، لكنه لم يحتج لإشارة ثانية. اجتاز عتبة الباب بسرعة ثم أدرك أنه لا يرتدي سوى القليل القليل فعاد إلى الداخل وارتدى سروالاً وقميصاً على عجل وانتعل حذاءه قبل أن يصفق الباب ويتبع مولي.

اجتاحته موجة من الخوف. وتضخّم قلبه بحيث ضغط على رئتيه ما جعله يكافح ليتمكن من أن يتنفس. أرجو أن تكون بخير! أتمنى أن تكون بخير! ترددت هذه الكلمات في رأسه مع كل خطوة يخطوها.

كان كوخها مضاءً كله ولم يتردد حتى ليلتقط أنفاسه. لم يتردد أبداً. انقض على بابها وحاول فتحه فوجده مقفلاً. نظر من خلال النافذة لكن الستائر حجبت الرؤية، وعاد إلى الباب مجدداً. حرّك قبضة الباب مراراً وتكراراً وهو يصيح باسمها. إذا لم تجبه فسيحطّم هذا الباب اللعين.

ـ جوزي!

صيحته هذه كانت لتوقظ الموتى. وتناهى إليه من الداخل همهمة استنكار وجرجرة قدمين ناعمة... ثم فُتح الباب. ألقى نظرة واحدة على وجهها فتملكته مشاعر متنوعة جمعت بين الشفقة والحنان والقلق. بدت هيئتها فظيعة، لا بل أسوأ من ذلك.

طرفت بعينيها وتمسّكت بإطار الباب: «كيف يمكنني أن أخدمك؟».

ألا تدرك أن هذه ليست زيارة اجتماعية؟ وأنها الثانية بعد منتصف الليل؟ واكتسحته موجة من الحنان على حين غرة وقال: «عزيزتي، أظن أنك لست على ما يرام».

ترنحت فتقدّم منها على عجل وأحاط خصرها بذراعه ووجهها لتجلس على طرف السرير. شعر بها صغيرة وضعيفة تحت يديه، وبشرتها رطبة وحارة. كانت حرارتها مرتفعة.

قالت: «ربما لهذا السبب أشعر أني لست بحال جيدة».

حاولت أن تستلقي مجدداً لكنه منعها من ذلك فاستندت إليه بدلاً من ذلك. كانت رائحتها جميلة حتى وهي مريضة.

ـ أعدك بأن أدعك تنامين بعد أن تجيبي على بعض الأسئلة.

لم يبدُ عليها ما يشير إلى أنها سمعته فوضع إصبعاً تحت ذقنها ورفع وجهها نحوه: «جوزي؟».

ـ أنا أرتدي ملابس نوم سخيفة.

وزمّت فمها قبل أن تضيف: «عليّ أن ارتدي ثوبي».

شعر بأنها أكثر ضعفاً وتعباً من أن تهتم بالثوب لكنه تمنى لو لم تلفت انتباهه إلى ما ترتديه فقد بذل قصارى جهده لئلا يلاحظ. كانت ملابسها تتألف من سروال قصير زهري اللون وبلوزة بيضاء ذات كمين واسعين.

ملابس سخيفة، ظريفة ومثيرة جداً في ظروف مغايرة. وسعى لكبت الشعور الذي اجتاحه فجأة فقال: «أعدك بأن أسخر منك بشأن ملابسك عندما تتعافين».

ارتعشت شفتاها في محاولة منها للابتسام فيما أردف: «والآن، أخبريني أين تشعرين بالألم».

ردّت وهي تتنفس بجهد: «صدري. أجد صعوبة في التنفّس».

ـ هل تعانين من الربو؟

هزّت رأسها نفياً واستندت إليه أكثر حتى أراحت رأسها كلياً على كتفه. ورفعت وجهها نحوه وقد أغمضت عينيها.

www.elromancia.com

- جوزي.

أحاط وجهها بيديه فشعر بغدتيها متورمتين فأضاف: «أريدك أن تفتحي فمك وتمدي لسانك».

فتحت إحدى عينيها ثم رفعت يدها وهزّت إصبعها في وجهه: «ثقي بي، أليس كذلك؟ أنا طبيب».

ابتسم. لم يستطع أن يمنع نفسه. لم يصدّق أنها حاولت أن تمازحه وتطلق النكات فيما هي في هذه الحالة السيئة. وكافح الرغبة التي تملكته في تقبيل جبينها: «أحسنت».

فعلت ما طلبه منها فأدار وجهها باتجاه الضوء. نظرة سريعة إلى حنجرتها أكّدت ظنونه.

إنها مصابة بالتهاب في الحنجرة والرئتين وتعاني من الحمى. لا بد من أن تتناول أدوية مضادة للالتهاب، كما ينبغي أن تشرب الكثير من السوائل وأن تنام. ساعدها على أن تعود للاستلقاء تحت الأغطية.

- متى أكلت آخر مرة؟

لكنها استسلمت للنوم وأدرك أنه لن يتمكّن من معرفة المزيد منها هذه الليلة. سكب كوباً من الماء ولاحظ وجود طبق من الحساء بالكاد لمسته فوصل إلى استنتاجاته الخاصة.

أمر مولي التي استلقت على بساط عند أسفل السرير بالبقاء إلى جانبها. بساط؟ أبعد هذه الفكرة عن ذهنه واتجه عائداً إلى منزله حيث أخذ علبة دواء مضاد للالتهاب من حقيبته والمصباح الصغير من على الطاولة إلى جانب سريره ثم عاد إلى الكوخ.

جعلها تتناول قرصين من الدواء وبضع جرعات من الماء قبل أن يبرّد رأسها بقطعة قماش مبللة. بعدئذ، وضع المصباح

على الطاولة وأطفأ النور القوي المضاء فوق رأسها ثم جلس ليراقبها.

حلمت جوزي الحلم نفسه مجدداً، ذاك الحلم الجميل حيث ترى كينت منحنياً فوقها، وقد بدت تعابير وجهه قلقة. هذه المرة، كانت الغرفة تسبح في ضوء خافت، ناعم بدلاً من ذاك الضوء القوي فوق رأسها. حاولت أن تبتسم له، أن تقول له إنها تجده وسيماً، رائعاً... ومثيراً لكنها شعرت وكأن جسدها غارق في وحل سميك ولا تستطيع تحريكه.

بعدئذ، هزّت موجة من السعال جسدها كله وشعرت وكأن زجاجاً مكسوراً يجرح صدرها مع كل نفس تنفّسته واحتاجت لتركيزها كله كي تتمكن من التنفّس. وللحظة، أقسمت أنّ ذراعين قويتين رفعتاها وأسندتاها، لكن السواد الحالك عاد ليلفها بعد أن تغلّب عليها النوم.

عندما انسل كينت مرة ثانية إلى أحلامها، أرادته أن يخرج منها على الفور. لِمَ لا تستطيع أن تحلم بما ترغب فيه من أحلام؟ لِمَ لا يمكنها أن تحلم بأنهما يطفوان في عوامة على سطح نهر واسع أو يستلقيان في حقل من الزهور البرية، يتأملان السماء الزرقاء الصافية فوق رأسيهما؟

هو لا يزال مثيراً كحاله دوماً بابتسامته لكنه مزعج أيضاً. فهي لا تريد تناول الأقراص وشرب الماء. لِمَ لا يتوقّف عن إجبارها على ذلك؟ إلا أنها لا تستطيع تجنّبه. وهو لن يسمح لها بذلك فيداه الكبيرتان وقوته التي تفوق قوتها سخرت من جهودها للتملّص منه.

وبدا لها الحلم مزعجاً أيضاً لأنها كانت فيه أضعف من هرّة

صغيرة ودماغها مشوّشاً إلى حدّ حال دون قدرتها على استعمال تقنيات الدفاع عن النفس التي تعلمتها. فعندما تمكّنت أخيراً من أن تتذكر الحركة المناسبة، وجدت نفسها مستلقية على الوسادة فيما يدان لطيفتان تمسحان جبينها ولم تعد تتذكّر ما الذي أرادت أن تقاتله.

فتحت جوزي إحدى عينيها ولاحظت الضوء الناعم الذي يتسلل من النافذة فأدركت أنها نامت لوقت متأخر أو على الأقل لوقت أطول مما اعتادت. حاولت أن تأخذ نفساً عميقاً، فشعرت بألم في صدرها لكنه لم يعد حاداً بل تحوّل إلى ألم خفيف. وهذا تحسّن ملحوظ.

استقامت في جلستها على مهل، وردّت شعرها عن وجهها ثم جمدت مكانها. رأت كينت يجلس وهو شبه مسترخٍ على إحدى الكراسي الموضوعة إلى طاولة المطبخ وقد أغمض عينيه واستغرق في نوم عميق. ما الذي يفعله هنا؟ ثم تذكّرت مشاهد من أحلامها وتساءلت عما إذا كانت أحلاماً فعلاً. وقطّبت. تذكّرت بشكل غامض أنها فتحت الليلة الفائتة له الباب في لحظة من اللحظات.

تحرّكت مولي ووقفت بتثاقل على قوائمها ثم مطت جسدها وأنّت. وعندما رأت جوزي قد استفاقت أطلقت نباحاً عبّر عن سرورها، وما هي إلا ثوانٍ حتى هبّ كينت واقفاً على قدميه. لم ترَ جوزي قط في حياتها أحداً يتحرك بهذه السرعة، إذ انتقل من النوم إلى اليقظة في لحظة.

سرعان ما أصبح إلى جانبها فوضع راحته على جبينها وراح يراقب وجهها بعينين حادتين: «كيف حالك؟».

ـ سيء للغاية.

ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة فدمدمت: «يسرّني أن تجد هذا مسلياً».

وأبعدت الغطاء ومدت يدها لتأخذ عباءتها فزالت الابتسامة عن وجهه على الفور وسألها: «ماذا تظنين نفسك فاعلة؟».

ردّت وهي تتنفس بجهد: «عليّ تحضير الحلوى».

لا بد أن ليز تتوقّع وصولها.

ـ لا لن تفعلي.

أمسك بقدميها ورفعهما إلى السرير ووجدت جوزي نفسها أضعف من أن تواجهه. في الواقع، وجدت أنّ التنفّس وحده تطلّب معظم طاقتها. رتّب الأغطية من حولها وجلس عند طرف السرير. ولحسن الحظ أنها لم تكن تملك الطاقة أيضاً لتشدّه نحوها وتعانقه.

ـ لن تغادري السرير اليوم أبداً.

ـ لكن...

ـ هذه أوامر الطبيب.

أطبقت فمها ثم قطّبت: «هل جاء الطبيب لمعاينتي؟».

تردد ثم أومأ برأسه: «نعم».

لا تتذكر هذا أبداً، وقالت مترددة: «هل يمكنك...؟».

حرّكت يديها مرتبكة فهي تكره أن تزعجه وتستغله: «هل يمكنك أن تتصل بليز وتشرح لها أن..».

ـ لقد فعلت.

أحقاً؟ وألقت نظرة على النور المتسلل من بين الستائر وقالت: «لكن الساعة لم تبلغ الثامنة بعد».

ألقى نظرة على ساعته وأكّد لها: «إنها الثامنة إلا عشرين دقيقة».

ـ يا إلهي! متى اتصلت بها؟

وتملّكها شعور بالسخط. ما الذي منحه حق التدخّل في حياتها وتولّي مسؤولية شؤونها؟ ثم تذكّرت أنه يتبع وحسب أوامر الطبيب فقالت: «أنا... شكراً لك».

تقطيبة عميقة جعلت حاجبيه يغطيان عينيه الزرقاوين اللامعتين. وازداد انقباض صدرها المنقبض أصلاً حتى أدركت أنّ تقطيبته ليست موجّهة إليها بل إلى الجدار من خلفها. وسألها: «في أيّ يوم من أيام الأسبوع نحن برأيك؟».

هزّها حدس داخلي مريع وردّت: «اليوم هو الاثنين بالطبع».

لكنها أدركت فجأة أنّ ما من شيء مؤكد هنا. إذا لم تستطع أن تتذكر زيارة الطبيب لها، ثم...

ـ كنت مريضة جداً يا جوزي.

ـ ماذا تعني بمريضة؟

ثنى ذراعيه وحدّق باتجاه الحوض في المطبخ. ولم تمانع طالما أنه لا يحدّق فيها.

ـ كنت تعانين من التهاب في الصدر.

ـ وفي أيّ يوم نحن؟

فرك عنقه من الخلف ثم رمقها بنظرة عبر خصلة الشعر التي نزلت على جبينه قبل أن يجيب: «الخميس».

ـ الخميس.

استقامت في جلستها ووجدت مجدداً صعوبة في أن تتنفس فعادت تستند إلى الوسادات خلفها. كيف أمكنها أن تضيع ثلاثة أيام سدى؟ وخطرت لها فكرة أخرى فجفّ فمها وهي تسأله: «هل اعتنيت بي طيلة هذه الفترة؟».

أومأ برأسه ايجاباً فرغبت في أن تغطي وجهها بيديها وتتكوّر تحت الأغطية: «أنا آسفة».

ـ المسألة ليست مهمة.

المسألة ليست مهمة. لا بد أنه يمزح، فالمسألة مهمة للغاية.

هل كانت تهذي؟ ساورتها هذه الفكرة ورغبت في أن تموت. لكنها قالت له فجأة بحدة: «أنت تستحق ذلك بعد حديثك الأسبوع الماضي عن أنك لست ممرضة زميلة».

طرف بعينيه ثم كشّر قائلاً: «هل ستكونين من أولئك المرضى الكثيري التذمّر والشكوى؟».

غطت فمها بيدها وقالت: «أنا آسفة».

ـ لا، أنا أستحق ذلك.

هزّت رأسها وقالت: «أنا آسفة لأني سببت لك هذا الإزعاج كله. ما كنت لأرغب أبداً في مضايقتك».

مدّ يده وربّت على يدها وهو ينظر إليها بعينين لطيفتين ثم قال: «أنا واثق تماماً من أنك كنت تفضلين أن تبقي بصحة جيدة».

وتراجع إلى الخلف فيما الابتسامة لم تفارق وجهه ما جعلها تجد فجأة صعوبة في أن تلتقط أنفاسها فاستندت إلى الوسائد خلف ظهرها.

ـ إذن، وكعقاب لي، سأضطر لأن أقضي الأيام الثلاثة القادمة في لعب الشطرنج مع أسوأ لاعبة عرفها التاريخ.

حملقت فيه جوزي ثم ضحكت ضحكة انتهت بنوبة سعال حاد. أحاطها كينت بذراعيه وساعدها على البقاء جامدة حتى انتهت النوبة. بعدئذ، تراجعت بما يكفي لتحدّق في وجهه. كانت ذقنه بحاجة للحلاقة وتساءلت عما ستشعر به إذا ما مررت راحة يدها على طول خده.

أطلق كينت سراحها وهبّ واقفاً على قدميه، واضعاً يديه في جيبي سرواله قبل أن يقول: «عليك أن تستريحي الآن».

www.elromancia.com

عندئذ، تذكّرت كيف فرّ منها ذاك اليوم عند النهر وكيف تجنبها منذ ذاك الحين، وكيف أنه لا يرغب في وجودها هنا على جبله.

ـ هل هذه هي المدة التي يُفترض بي أن أقضيها في السرير؟ هل هذه هي أوامر الطبيب؟

ـ ثلاثة أيام؟

ـ كحدّ أدنى.

لا يمكنها أن تبقى عبئاً عليه لثلاثة أيام أخرى لكنها وجدت صعوبة في أن تركّز على هذه الفكرة فيما عيناها تقاومان النعاس الذي غلبها فجأة: «لا يمكنني أن أبقى هنا».

ـ بل يمكنك ذلك طبعاً.

لا، لا يمكنها. لكن عينيها أطبقتا ووجدت أنها لا تملك القوة اللازمة لتدفع الكلمات خارج حنجرتها.

مرر كينت يده على وجهه. لقد واجه ما يكفي من الصعوبة وهو يتعامل مع جوزي الواعية، لكن أن يضطر للمسها والامساك بها فيما هو يعطيها الأدوية ويجعلها تشرب الماء، وأن يضطر لأن يحصّن نفسه ضد المشاعر التي اكتسحته كلما مسح جبينها وغير الأغطية، وكلما تجرأ على النظر إليها وتأملها. وأن يضطر لمقاومة الرغبة في أن يعانقها حين راحت تهذي وتخبره عن أحلامها التي شكّل جزءاً منها.

كره نفسه لضعفه وعدم قدرته على اعتبارها كأيّ مريض آخر. وعاد يمسح وجهه بيده. جوزي النائمة استنزفت قدراته على ضبط نفسه لكن جوزي المستيقظة أقوى بكثير. ولم يعرف كيف سيتمكّن من تمضية الأيام القليلة القادمة.

سألته جوزي حين عاد مجدداً ليجلس عند طرف سريرها: «ماذا عن أبقارك؟».

صحح لها كلامها: «عجول».

لم يدرك أنها مستيقظة. ولم يشأ أن يوقظها لكن الوقت حان كي تتناول بعض الطعام. واتخذت وضعية الجلوس فرتّب الوسائد خلفها.

ـ من الذي يعتني بها؟

كان عليه أن يعلم أن الأمر لن يطول قبل أن تبدأ بطرح الأسئلة. وأجابها: «سمايلي ماكدونالد وهو جاري. توصلنا إلى اتفاق».

نظرت إليه نظرة تشكيك وسألته: «أحقاً؟».

فأجاب وهو يضع صينية تحمل قصعة حساء وبعض الخبز المحمص في حجرها: «نعم».

ـ وما هو هذا الاتفاق؟

وضع الملعقة في يدها وأجاب: «يلقي سمايلي نظرة من فوق السياج الذي يفصل بين أملاكي وأملاكه ويتحقق من قطيعي فإذا وجد أي مشكلة يعالجها أو يبلغني بذلك. وسأرد له معروفه في الشهر القادم حين يسافر إلى اديلايد لحضور زفاف شقيقته».

شرعت تأكل فيما انتقل هو إلى الكرسي. وعندما أنهت طعامها، رفع الصينية وحملها إلى المطبخ ثم عاد حاملاً بيده كوباً من الماء وقرص دواء. قال حين لاحظ ترددها: «مضاد للالتهاب».

ـ شكراً لك.

تناولت الدواء من دون تذمّر ثم أردفت: «أشكرك على الغداء وأشكرك على اعتنائك بي».

وابتسمت، فأقسم في تلك اللحظة أنّ الأمر يستحق العناء: «ما من مشكلة».

وانسحب نحو الحوض بعيداً عن الغواية للحظات.

ـ بل إنها مشكلة. قلت إنّ عليّ أن أبقى في الفراش لثلاثة أيام أخرى.

استدار على عجل إذ لم تعجبه نبرة صوتها: «لن تتمكني من بذل الكثير من الجهد دفعة واحدة».

لم يشأ أن تجهد نفسها. وتابع كلامه قائلاً: «عليك أن تأخذي الأمور بروية لبضعة أسابيع».

ـ لكن...

ـ ما من اعتراضات، إلا إذا أردت أن تتعرضي لنكسة.

استندت مجدداً إلى الوسائد وعضت شفتها. أراد أن يأخذها بين ذراعيه ويخبرها أن الأمور ستسير على ما يرام. كل ما تحتاجه هو ألا تُجهد نفسها وحسب. وراهن على أنها لم تعتد ألا تُجهد نفسها. تملّكه شعور بأنها اعتنت بوالدها خلال الأشهر القليلة الماضية على حساب صحتها. ولم ترق له هذه الفكرة. لِمَ لم يهتم بها أخواها؟ جلس على الكرسي وحاول ألا يعبس. سيحرص على ألا تجهد نفسها.

ـ لا يمكنني أن أستغل لطفك أكثر.

ـ بل يمكنك ذلك.

ـ هذا ليس عادلاً بالنسبة إليك. فلديك عملك ومسؤولياتك الأخرى.

لا، ليس لديه أيّ مسؤوليات، مسؤوليات حقيقية مثل الحرص على أن يتماثل شخص مريض للشفاء. لقد نسي هذا الشعور... وافتقده كثيراً. أبعد هذه الفكرة عن ذهنه إذ اختار دربه.

ـ ثمة أمور كثيرة غير عادلة في الحياة.

فليس عدلاً أن تبقى في هذا المكان، في عطلة لم تخترها حتى.

ـ عليّ أن أعود إلى المنزل.

خرج صوتها خفيضاً وكأنها تقرر أمراً واقعاً فأحدثت الكلمات أثراً لم يستسغه في داخله. هبّ واقفاً عن كرسيه لكنه لم يعرف ماذا أراد أن يفعل. وتملكه القلق حين شحب وجهها فجأة.

قطع المسافة التي تفصلهما في غمضة عين وتحسس جبينها فوجده بارداً وجافاً. لم تعاودها الحمى فغمره الارتياح وقال لها: «جوزي، أنت لست قوية بما يكفي حتى تقودي سيارتك».

التقت نظراتهما لكنها عادت وأخفضت عينيها نحو أصابعها التي كانت تعبث بالغطاء ثم قالت: «أعلم هذا، لكن إذا ما اتصلت بمارتي وفرانك فيمكن أن يأتيا لاصطحابي».

لا يمكن لمارتي وفرانك أن يعتنيا بها كما يفعل هو. لو كانا شقيقين جيداً فعلاً فلِمَ أرسلاها إلى هذه المكان المعزول منذ البداية؟ لم يشأ أن تغيب جوزي عن ناظريه قبل أن يتأكد من أنها تماثلت إلى الشفاء تماماً.

سألها بحدة: «هل سيتمكنان من الاعتناء بك؟».

ـ بالطبع.

ـ كما يجب؟

ـ نعم.

وضحكت لكنه لاحظ التوتر الذي حاولت أن تخفيه ثم أضافت: «أظن أنّ هذا أفضل للجميع، ألا توافقني الرأي؟».

كلماتها الرقيقة هذه طعنته في الصميم وأراد أن يجيبها بلا. لكن تباً! ما الذي يمكنه أن يقدمه لها سوى هذا الكوخ البدائي؟

لم تشأ البقاء في هذا المكان وهي في صحة جيدة فلِمَ تبقى وهي مريضة؟ إنها تستحق وسائل الراحة كلها وهي لن تحظى بها هنا حتى لو نقلها إلى منزله. يجب أن تحظى بالرعاية والدلال من

www.elromancia.com

أسرتها وأصدقائها، والأناس الذين يحبونها. وهذه الحلقة لا تشمله هو.

إن كان هذا ما تريده فسيحرص على أن يحققه لها، فوعدها: «سأفعل كل ما تطلبينه مني. هل أنت واثقة من أنك لا تفضلين البقاء هنا؟».

ابتسمت له ابتسامة لم تصل إلى عينيها وردّت: «أنت لست مربيتي، أتذكر هذا؟».

لم تقل هذا بطريقة لئيمة ما زاد الأمر سوءاً: «لكن..».

ـ كلانا يعلم أني شخص اضطررت لتحمّله.

ـ هذا ليس صحيحاً.

تمنى لو أنه تصرّف معها بلطف أكبر بعد وصولها. وحوّل نظره بعيداً عنها قبل أن يقول بارتباك: «ستخلفين وراءك فراغاً».

رفعت حاجبها استغراباً فوجد نفسه يهزّ كتفه ويضيف: «ليز تستمتع بشرب القهوة معك في الصباح ولم أرَ كلانسي نشيطاً وأنيقاً إلى هذا الحد منذ زمن طويل».

ابتسمت ابتسامة ضعيفة وباهتة.

ـ وكنت أتطلع لتسجيل انتصارات أخرى عليك في لعبة الشطرنج.

منحته شبه ابتسامة أضعف وأكثر حزناً قبل أن تقول: «لا أصدقك».

لو عانقها لصدّقته.

بالله عليك! إنها مريضة أيها الأحمق.

بعد إعادة التفكير، بدت له فكرة أن تعود إلى منزلها جيدة على الأرجح.

ركّز جيداً ثم أمسك بمفكرة وقلم وقدّمهما لها قائلاً: «إذا كتبت رقمي هاتفيهما فسأتصل بهما».

واستدار متجهاً نحو الباب حيث استند إلى إطاره وراح يحدّق في المشهد أمامه. أراد أن يخرج من الكوخ الضيق ويبتعد عنها الآن. إنه يحتاج لأن يسير تحت السماء الواسعة ولأن يتنفس الهواء المنعش.

عندما التفت نحوها مجدداً، وجد جوزي شاحبة ترتجف. أصبح إلى جانبها في طرفة عين لكنها رفضت أن تتخلى عن المفكرة حين حاول أن يأخذها من يدها. أمرها وهو يلعن نفسه لأنه لم يبقها تحت مراقبته: «استريحي. سنعالج هذه المسألة لاحقاً».

كانت قد كتبت الأرقام على عجل ومن دون عناية، فمزّقت الصفحة وسلّمته إياها: «سأستريح فيما أنت تتولى الاتصال بهما».

استلقت مجدداً تحت الأغطية وأدارت ظهرها له. لقد كتبت أربعة أرقام: رقما مارتي في المنزل وفي العمل ورقما فرانك في المنزل وفي العمل. أراد أن يكوّر الورقة ويرميها بعيداً. وعندما تستفيق سيقول لها إنّ ما حصل مجرد حلم وإنها ستبقى هنا حتى تستعيد عافيتها كلياً.

لكنه أدرك أنّ هذا لن ينجح فجوزي لم تعد تهذي وهي تميّز الحقيقة من الخيال. إنها تعرف ما تريد.

وهي تريد العودة إلى منزلها.

اندفع إلى داخل المنزل الذي بدا له كئيباً بشكل غريب بعد الألوان التي أضافتها جوزي إلى كوخها. رفع سماعة الهاتف من دون أن يمنح نفسه الوقت ليفكّر وطلب الرقم الأول، رقم مارتي في العمل.

وبعد عشر دقائق، وضع السماعة بعنف فتردد صدى الضربة في الصمت المطبق.

بعد أن اكتشف أنّ حالها لا تتطلب دخول المستشفى، ادّعى مارتي بيترسون أنه لا يستطيع أن يأتي لاصطحاب جوزي قبل نهار الثلاثاء من الأسبوع التالي على أقرب تقدير.

نهار الثلاثاء أي بعد خمسة أيام.

وأبدى أسفه على الازعاج الذي تسببت به لكنه سيحرص على أن يتم التعويض على السيد كينت.

إزعاج! وشخر كينت! جوزي لا تحتاج شخصاً أبله يرمي المال ذات يمين وذات يسار بل تحتاج عائلة وأصدقاء وبعض الدلال الذي تستحقه تماماً. ما لا تحتاجه هو هذا الأخ الذي لا يستطيع أن يأتي لاصطحابها لأن لديه عمل هام يقوم به.

سيعطيه كينت عملاً هاماً يقوم به. إذا ما وقع ناظراه على مارتي بيترسون فسيضربه ويطرحه أرضاً.

انتقل إلى رقم فرانك، الشقيق الآخر. لا يمكن أن يكون الاثنان من حثالة المجتمع. فجوزي رقيقة وطيبة القلب ولا بد أن أحد شقيقيها على الأقل يشاركها بعض هذه الصفات التي تميّز شخصيتها.

وطالعه رنين رقم مشغول. اشتدت قبضته على السماعة بحيث كاد يحطمها ثم وضعها بعنف وهو يشتم بصوت عالٍ. هل اتصل الأخ الأول التافه بالأخ التافه الثاني ليحذّره؟

راح يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً. هل هذان هما الرجلان اللذان لم تشأ جوزي أن تجرح مشاعرهما فبقيت هنا ولم تتذمر؟

بقي الخط مشغولاً مدة سبع وأربعين دقيقة لكنه لم يكن ينوي الاستسلام. وفي نهاية المطاف، أجابت السكرتيرة وأبلغته آسفة أنّ السيد بيترسون خارج البلاد في رحلة عمل وسألته إن كان يرغب

في ترك رسالة له. الرسالة التي أراد أن يتركها يمكن أن تلذع أذنيها. وذكّر نفسه بأنّ المرأة لا ذنب لها فاكتفى بكلمة «لا» موجزة وأقفل الخط.

ما الذي سيقوله لجوزي بحق السماء؟

وراح يتخيّل نفسه وهو يضرب الرجلين ويسحقهما سحقاً. فرك عنقه من الخلف فيما عقله يعمل بسرعة قياسية. يمكنه أن يوصل جوزي إلى منزلها بنفسه. ستتطلب الرحلة ذهاباً وإياباً معظم يومه. لكن لا بأس. سيقود سيارتها ثم يستأجر سيارة ليعود إلى منزله. سيطمئن بهذه الطريقة إلى أنها وصلت سالمة. تستغرق رحلة الذهاب ثلاث ساعات، وسيبقى معها قليلاً ليطمئن إلى أنها استقرت وارتاحت ثم يمضي ثلاث ساعات أخريات في رحلة العودة.

لكن لِمَ ستعود إلى منزلها؟ لا يمكنه أن يعتمد على أخويها المشغولين بأعمالهما المهمة جداً كي يعتنيا بها. كما أنّ جارتها مريضة، ولا يمكنه أن يعتمد على جوزي كي تعتني بنفسها كما يجب إذا ما شعرت أن أحدهم يحتاج إليها.

لا، لن يأخذها إلى منزلها. لعله لا يستطيع أن يقدّم لها سوى كوخ بدائي لكنه سيحرص على أن تحظى بالرعاية التي تحتاجها. فهذا على الأقل ما يمكن أن يقدّمه. مدّ يده نحو الهاتف وأجرى اتصالين آخرين، فجاءا مرضيين أكثر من الاتصالين السابقين. في الواقع، وجد نفسه يبتسم عندما أنهاهما.

www.elromancia.com

8 ـ هل هذه هي الحقيقة؟

لا بد أنّ النعاس غلب جوزي فعندما فتحت عينيها مجدداً، وجدت أنّ الشمس تحركت في كبد السماء وأنّ الظلال خارج كوخها طالت. مدّت يدها بحثاً عن ساعتها.

قال كينت: «إنها الرابعة تقريباً».

لم تصدّق أنها نامت كل هذه المدة. لكن سرعان ما نسيت هذه الفكرة عندما جلست ونظرت إليه. كان يجلس إلى الطاولة وقد وضع أحد كتب الكلمات المتقاطعة أمامه وقد بدا وسيماً إلى حدّ جعل جسدها يرتعش.

كلما غادرت المكان سريعاً كان ذلك أفضل ومن أجل مصلحتيهما معاً.

ازدردت ريقها وحاولت أن تجعل نفسها تصدّق ما تراه: «هل قمت...؟».

ـ كلمة من أربعة أحرف لإضفاء نكهة على الطعام؟ الحرف الثالث هو ت.

حاولت أن تتخيّل الكلمة وسألته: «للنكهة؟ أما من حروف أخرى؟».

ـ أظن أنّ الكلمة العمودية هي رائع، ما يعني أنّ الحرف الثاني هو «ع».

ـ شيء ما و«ع» ثم شيء ما و«ت»؟ لا أحب هذا.

مدّت يدها لتأخذ الكتاب وهي تقول: «أراهن على أنك أخطأت في مكان ما».

أعطاها الكتاب ثم مدّ ساقيه بعد أن جلس عند أسفل سريرها.

تثاءب وسأل: «حسن؟».

ـ لا أستطيع إيجاد الكلمة.

تثاءب مجدداً فاكتسحها الشعور بالذنب. وتساءلت إذا ما استطاع أن يحصل على قسط كافٍ من الراحة في الأيام القليلة الماضية.

أرادت أن تتكوّر على ذاتها وتختبئ.. فتحت فمها لتسأله متى سيصل مارتي وفرانك لكن شعوراً هو أبعد من الكآبة بكثير اجتاحها حين خطرت لها فكرة الرحيل.

وصاحت فجأة: «صعتر. يستخدم الصعتر لإضفاء نكهة على الطعام».

ابتسم لها كينت فانقشع جزء من غمامة الكآبة. ستسأل عن مارتي وفرانك بعد أن تنهي هي وكينت الكلمات المتقاطعة. لكن ما إن أنهياها حتى وقف كينت وتمطى وتلفّت من حوله.

ـ هل تحب ما فعلته؟

لم يدّعِ أنه لم يفهم ما عنته بل أجاب: «أتى لي ألا أحبه؟ لقد غيّرت المكان كلياً».

قالت: «هراء».

فأصرّ قائلاً: «بل فعلت، فالجو هنا مختلف تماماً».

وتلفّت من حوله مجدداً وقد تغضّن جبينه ثم أضاف: «لا أستطيع حتى أن أكتشف ما فعلته تحديداً».

ـ كل ما فعلته هو أني وضعت بساطاً على الأرض وغطاءً على الطاولة وعلّقت أشياء فرحة على النوافذ.

ـ ماذا عن هذا؟

www.elromancia.com

هزّت كتفيها وردّت: «علّقت لوحة. وهذا لا يشكّل تغييراً مزلزلاً».

ـ وماذا عن هذه؟

ـ إنها بعض الشموع التي اشتريتها. يُفترض أن تفوح منها رائحة الشوكولا عند إضاءتها.

التزم الصمت للحظات ثم قال: «أتعلمين، لعلك محقّة. ربما عليّ أن... أعمل قليلاً على هذه الأكواخ».

فغرت فمها ورغبت في أن تحتضنه بين ذراعيها.

سيئة، إنها فكرة سيئة. ما عليها أن تفعله هو أن تسأله عما إذا اتصل بمارتي. لكنها وجدت نفسها عاجزة عن إخراج الكلمات من فمها. إنما وفي نهاية المطاف، أثار كينت نفسه الموضوع أولاً إذ سألها: «هل علاقتك وطيدة بشقيقيك يا جوزي؟».

تشنّجت جوزي على الفور وصفقت كتاب الكلمات المتقاطعة قبل أن تسأله: «لماذا؟ ما الذي يجعلك تطرح هذا السؤال؟».

تراجع إلى الخلف مجيباً: «ما من سبب، إنه مجرد سؤال».

أمرت نفسها بألا تظهر حساسية مفرطة على الموضوع.

ـ لكنهما أرسلاك إلى هذا المكان المعزول، ألم يفعلا؟

كان صوته ساخراً بعض الشيء وكأنه يحاول أن يجعلها تسترخي وترتاح ما زاد من شكوكها.

ـ لماذا؟ ماذا قالا؟ هل تحدثت إليهما؟

هزّ كتفيه وأجاب: «تحدّثت إلى مارتي فقط».

ـ وماذا...؟

ـ مرحباً.

وقف كلانسي في الباب وهو يحمل في إحدى يديه باقة من الزهور وفي الأخرى أغراضاً أخرى متنوعة.

ـ كيف حالك يا فتاتي؟

ووضع الزهور بين ذراعيها فقالت: «آه، كلانسي، إنها جميلة».

ـ عرفت أنك ستحبينها. إنها رشوة.

ـ رشوة؟

ـ إذا لم تكوني قادرة على زيارتي لنتناول الغداء معاً فعليّ أن أزورك.

والتمعت عيناه الداكنتان قبل أن يضيف: «إن وجدت لي مكاناً في جدول أعمالك».

لم تكن تعلم إذا ما سيجدها هنا في الغد عند موعد الغداء، فقد تكون في طريقها إلى منزلها: «آه، كلانسي، أنا..».

هزّ كينت رأسه بقوة من خلف كلانسي فابتلعت جوزي ما تبقى من جملتها وابتسمت ثم قالت: «حسن، تبدو لي فكرة جيدة».

أشرق وجه كلانسي سروراً فتملكها الشعور بالذنب وبالأسف. ستفتقده عندما ترحل.

أقسمت في سرها على أن تتناول الغداء معه في الغد وإن لم يرق لمارتي وفرانك أن تؤخرهما إذا ما وصلا إلى هنا قبل موعد الغداء. في الواقع، سيكرهان ذلك. حصّنت نفسها ضد الشجار الذي لا مفر منه في الغد وعادت تركّز مجدداً على كلانسي قائلة: «علماً أنك تأخرت قليلاً عن موعد الغداء اليوم».

وافقها الرأي قبل أن يضع طاولة صغيرة قرب سريرها ويأخذ الزهور من يدها ليعطيها لكينت قائلاً: «قم بعمل مفيد يا فتى، وضع هذه في الماء».

واختفى في الخارج. بدا كينت مرتبكاً إلى حدّ جعل جوزي تضحك. لكن الزهور لم تقلل من رجولته البتة.

قال كلانسي الذي عاد إلى الكوخ حاملاً معه كرسيها المريح: «أردت أن آتي باكراً وأحدد موعداً بيننا لما تبقى من الأسبوع قبل أن يختطفك شخص آخر».

ووضع الكرسي قرب الطاولة الصغيرة ثم أضاف وهو يشير برأسه إلى الكراسي الخشبية قرب الطاولة: «تلك الكراسي قاسية جداً على عظام عجوز مثلي».

أخذ يعد إبريقاً كبيراً من الشاي في كوخها وكأنه في منزله الذي ولد فيه. وتمكّن كينت من أن يوزّع الزهور بين إناء وحيد وبعض الأباريق ففاح أريجها في المكان.

ـ كلانسي، لست بحاجة لأن ترشوني كي أتناول الغداء معك.

ـ ليست من أجل الغداء يا عزيزتي، بل من أجل هذه.

ورفع كيساً من قطع الدومينو مضيفاً: «شعرت بالملل في الأيام القليلة الماضية وأحتاج لجولة أو اثنتين لأستعيد حيويتي ونشاطي».

هذا غير منطقي. أراد أن يعيد لها حيويتها ويبعد عنها هي الملل. أثر فيها لطفه لكنها لم تستطع أن تنكر السرور الذي جعل خديه يتلونان وعينيه تلتمعان فيما هو يسكب الشاي ويقطّع الحلوى التي أحضرها معه ويجهّز أحجار الدومينو.

رفع أحد حاجبيه باتجاه كينت الذي راح يحوم حولهما وقال: «أنا قادر تماماً على الاعتناء بالمريضة. أليس لديك عمل ما أو ما تفعله؟».

ورفع طبق الحلوى نحوه قبل أن يردف: «خذ قطعة من هذه وارحل عنا».

كبحت جوزي ضحكتها فيما كشّر كينت وقال: «أنا أفهم من الإشارة».

تراقص شعر كلانسي الأبيض وأجاب: «رجل ذكيّ».

تبع جزء من جوزي كينت إلى الخارج، يرغب في السير على خطاه فيما هو يغادر. لكن جزءاً أكبر منها أراد أن يعانق كلانسي ويشكره، فكينت يحتاج على الأرجح إلى استراحة.

بقي كلانسي لأكثر من ساعة ثم غادر وهو يعدها بأن يعود في الغد لتناول الغداء معها، حتى أنه ترك طاولته الصغيرة القابلة للطي وكيس أحجار الدومينو. حدّقت في الأغراض وغصّت. عليها أن تعرف علاما اتفق كينت مع شقيقيها.

مدّ كينت رأسه من الباب وسألها: «هل أنت مرهقة؟».

ـ أنا بخير.

وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تضيف: «كينت، ما الذي...؟».

ـ هذا تصرّف لطيف.

رمشت بعينيها وسألته: «أتعني أنه كان لطفاً من كلانسي أن يأتي لزيارتي؟».

وأشرق وجهها وهي تضيف: «بالطبع كان كذلك و..».

ـ لقد عنيت تماماً ما قلته.

وثنى ذراعيه فاشتد قماش قميصه على كتفيه وعضلات ذراعيه.

ـ لديه قريب وحيد حيّ. ابن أخت يعيش في سكوتلندا. إنه وحيد وزيارتك جعلته يشعر بأنّ ثمة شخص يحتاج إليه.

لم تجد جوزي ما تقوله لكنها تمكّنت أخيراً من أن تتكلّم: «أنا... أنا أستمتع برفقته».

ـ هذا ما أشرت إليه بالتحديد.

ـ هذا ليس لطفاً بل سلوكاً انسانياً.

تراجع كينت خطوة إلى الوراء فشعرت بالإحباط.

ـ اسمع يا كينت، ما الذي...؟

ـ مرحباً!

وتناهى إليهما وقع خطى على الشرفة ثم أطلت ليز برأسها من الباب وهي تحمل سلة في يدها.

دعتها جوزي للدخول حين لاحظت ترددها.

ـ هل أنت واثقة؟ هل قاطعتكما؟

لاحظت جوزي النظرة التي رمقها بها كينت: «أنت لم تقاطعينا، كما أننا نرحب بالضيوف دوماً».

ورفضت أن تنظر إليه فيما دخلت ليز وهي تقول: «بصراحة، أردت الابتعاد عن بريدجت قليلاً. أنت تفهمين ما أعنيه، أليس كذلك؟».

رمشت جوزي بعينيها حين أخرجت ليز قدراً صغيرة من سلتها ووضعتها على الفرن.

ـ قلت لبريدجت إني سأتناول العشاء في الخارج الليلة فأرجو ألا تمانعي.

هزّت جوزي رأسها وقالت: «لا، أبداً».

جلست ليز في كرسي كلانسي وقالت: «لا تؤاخذني يا كينت لكن البخنة التي أعدها ألذ وأشهى من حساء العلب الذي تحضّره أنت».

جرّ كينت إحدى الكراسي القاسية وقال: «لا بأس».

سال لعاب جوزي حين ملأت الرائحة الذكية التي فاحت من القدر جو الغرفة. وأدركت أنّ حال كينت من حالها بعد أن لاحظت أنه يسترق النظر نحو الفرن.

أدنت ليز كرسيها من السرير وقالت: «ستكون جاهزة بعد ثلاثين أو أربعين دقيقة ما يتيح لنا فرصة تبادل الأحاديث النسائية».

هبّ كينت واقفاً على قدميه وقال: «حسن، عليّ أن أقوم ببعض الأعمال».

إلا أن جوزي لم تستطع إلا أن تلاحظ النظرة الكئيبة التي رمقهما بها. وتذكّرت تعليق كلانسي يوم المهرجان عن أنّ كينت لم يُخلق من أجل هذه الوحدة كلها. وأرادت أن تسأله عن ماهية الأعمال التي يتوجب عليه القيام بها.

أرادت أن تطلب منه أن يبقى. ثم تذكّرت أنها عبء على كاهله وأنه لا يتوق إلى الرفقة، أو على الأقل رفقتها هي. إنه يريد الطعام وهي لا تلومه على ذلك إذ فاحت من القدر رائحة يسيل لها اللعاب.

ـ سأقدّم الطعام بعد أربعين دقيقة، فإن لم تشأ أن تفوت الفرصة...

ابتسم كينت ما أثار مشاعر غريبة في أحشاء جوزي.

ـ سأعود.

وضع قبعته على رأسه ولمس طرفها في حركة وداع ثم خرج.

انحنت ليز إلى الأمام ولمست ذراع جوزي التي استطاعت أن ترى التوتر والإجهاد على وجهها.

ـ سيبدو ما أقوله مريعاً لكن مرضك جاء بمثابة هبة من الله. لا تسيئي فهمي يا عزيزتي.

وربتت على كفّ جوزي قبل أن تضيف: «أنا آسفة لأنك لست على ما يرام».

لم تشك جوزي في كلامها أبداً.

ـ لكن هذا يمنحني حجة كي أخرج من المنزل.

جلست جوزي مستقيمة وسألتها: «هل الأمر بهذا السوء؟».

أومأت ليز برأسها: «ساعدني أن تتناولي الفطور معنا على التعامل معها وحرف انتباهها عني قليلاً».

وصمتت لحظة ثم أضافت: «أحببت تيد وأنا أفتقده كثيراً لكن خسارته لا تعني أني عاجزة عن الاعتناء بنفسي».

www.elromancia.com

ـ بالطبع لا.

ـ حاولي أن تقولي هذا لبريدجت وأن تقنعيها.

كانت بريدجت مستبدة جداً: «إنّ نواياها حسنة».

ـ أعلم هذا يا حبيبتي. ولو لم تكن كذلك لأمسكت بها من أذنها وطردتها منذ وقت طويل. لكن القدوم لرؤيتك لا يمنحني فرصة للابتعاد عنها وحسب بل يجعلني أشعر مجدداً بأني مفيدة.

بدأت حنجرة جوزي تنقبض.

ـ أصبح لدي سبب لأعدّ العشاء من جديد، إن كنت تفهمين ما أعنيه.

كانت جوزي تعرف تماماً ما تعنيه. ففي الأسبوع الأول بعد وفاة والدها، لم ترَ مبرراً لأن تحضّر الطعام لشخص واحد. كما لم تشعر برغبة في تناول الطعام.

ـ لذا، أود أن أمدد فترة مرضك لأسبوع على الأقل إن كنت لا تمانعين. بعدئذ، عليّ أن أفكر في حلّ آخر لأني لا أعرف صراحة ما الذي سأفعله بعد رحيلك.

ازدردت جوزي بريقها. الكذب يبقى كذباً مهما كانت النيّة حسنة وهي لا تستطيع أن تفعل هذا بليز. فقالت: «ليز، قد أعود إلى المنزل في الغد. طلبت من كينت أن يتصل بأخويّ ليأتيا ويصطحباني».

تصلّبت ليز وقالت: «اطلبي منه أن يعيد الاتصال بهما ويبلغهما أنك بدّلت رأيك. أنت لا تريدين أن تقطعي إجازتك، أليس كذلك؟».

ـ أنا... لكن... لا يمكنني أن أبقى عبئاً على كينت.

ـ هذا كلام فارغ. فأنت تفيدينه.

أحقاً؟ كيف؟

وقبل أن تتمكّن من طرح السؤال، سارعت ليز تكمل حديثها:

«كيف يمكن أن تكوني عبئاً؟ الأسوأ قد مرّ وانتهى. لا يحتاج كينت الآن لأن يسهر عليك طوال الليل، وستصبحين بألف خير بعد أن تستريحي لبعض الوقت في السرير. ماذا عليه أن يفعل؟ سأحضّر لك العشاء و..».

وثنت ذراعيها قبل أن تضيف: «أعرف كم يتطلّع كلانسي للاهتمام بوجبة غدائك. مرّ بالمتجر وهو يبدو متحمساً جداً لهذه الفكرة».

عضّت جوزي شفتها.

ـ كل ما على كينت أن يفعله هو أن يحمّص لك الخبز في الصباح ويطل برأسه من الباب بين الحين والآخر ليحرص على ألا تحتاجي شيئاً.

عندما تُعرض المسألة بهذا الشكل...

ـ في الواقع، سيكسب من هذه الترتيبات ولن يخسر لأنه يستطيع تناول العشاء معنا بدلاً من أن يعده بنفسه.

هذا صحيح.

ـ وأريدك أن تساعديني حتى أجد حلاً لمسألة بريدجت.

دنت ليز منها أكثر ثم ربتت على يد جوزي قبل أن تردف: «أرجوك».

انفتحت بوابة من الشوق العظيم في داخلها، وقالت: «حسن... إن كان هذا يناسب كينت».

استقامت ليز في جلستها وابتسمت قبل أن تقول: «كينت لن يمانع».

فقال كينت وهو يدخل إلى الكوخ: «لن أمانع بشأن ماذا؟».

ـ إذا ما بدّلت جوزي رأيها وقررت البقاء.

التفت نحوها وسألها: «هل بدّلت رأيك؟».

أومأت برأسها وقد عجزت في تلك اللحظة عن أن تتلفظ بحرف واحد، لكنها أبقت نظرها على وجهه، لكنها لم ترَ أيّ أثر لأيّ تقطيب أو عبوس أو حتى تغضّن. بل على العكس من ذلك إذ ابتسم لها وقال: «أنا لا أمانع أبداً بل أجد هذا القرار رائعاً».

وأشار برأسه نحو الفرن مضيفاً: «الرائحة ذكية جداً. كم سيطول...؟».

- بما يكفي كي تتصل بشقيقيّ جوزي وتخبرهما أنها ستبقى هنا.

- ما من مشكلة.

غادر مبتسماً ووجدت جوزي أنها عاجزة تماماً عن فهم كينت بلاك. وقالت وهي تعود بانتباهها إلى ليز: «نادي كرة المضرب. تحتاج بريدجت مشروعاً آخر تنظّمه غيرك. هل تحب كرة المضرب؟».

- أجل!

أراد كينت أن يلكم الهواء احتفاءً بهذا الانتصار. جوزي لن ترحل.

ذكّر نفسه بأن إقامتها لن تطول إلى الأبد بل حتى نهاية الأسبوع المقبل لكنه وقت كافٍ كي يساعدها على أن تستعيد عافيتها ونشاطها.

أراد أن يحتفل. فتح الثلاجة وأخرج منها عبوات عدة من المشروب. سيكتفي بهذا الليلة وسيحتفلان بشكل مناسب حين تتعافى تماماً.

إلا أنّ الاحتفال لن يقتصر عليه وعلى جوزي. لا. وطالعته صورة جلسة حميمة على ضوء الشموع فيما جوزي ترتدي ملابس نومها الفاتنة و...

وشعر بالحرارة تجتاح جسده وتلهب حواسه فأطلق شتيمة وحاول أن يستبدل الصورة التي تخيّلها بأخرى... هو وليز وكلانسي يقيمون حفلة لجوزي. ستكون حفلة ممتعة.

لكنها ليست ممتعة بقدر الصورة الأولى.

استعاد تركيزه وأمسك بسماعة الهاتف ليطلب رقم مارتي في العمل. صاح عندما طالعه المجيب الآلي: «أنا كينت بلاك. ستبقى جوزي هنا حتى نهاية الأسبوع المقبل كما هو مقرر».

ثم وضع السماعة بعنف.

لم يُطلع ليز على الحوار الذي جرى بينه وبين مارتي، بل اكتفى بالقول إنّ جوزي طلبت منه أن يتصل بشقيقيها ليحضرا ويعيداها إلى المنزل. وفاجأه مدى الاستياء والرعب اللذين أظهرهما كلانسي وليز عند سماع الخبر. وقد قاما بجهد رائع لإقناعها بالبقاء وإقناعها بأنهما يحتاجانها. ما كان لينجح وحده في هذا.

الطريقة التي دخلا بها إلى كوخها المليء بالألوان والمرح والابتسام والمتمتع بالدفء والراحة... هذه الراحة التي أبدياها والطاقة الكسول التي تعكس الودّ والصداقة اللذان أظهراهما جعلاه يدرك ما تفتقر إليه حياته، ومنحاه لمحة خاطفة عما يمكن أن تكون عليه الحياة مع امرأة مثل جوزي.

سيفتقدها ليز وكلانسي عندما ترحل. ولن ينكر أنه سيفتقدها هو أيضاً. إلا أنّ رجلاً مثله لا يحق له أن يتلاعب بحياة امرأة مثل جوزي.

أبعد هذه الفكرة عن ذهنه. لقد حان الوقت ليعود ويستمتع بالعشاء مع جوزي. ومع ليز فهو لم ينسَ ليز.

بعد رحيل ليز، راح كينت يرتّب المكان. وظن أنّ جوزي غفت إلا أنه وجدها تحدّق فيه عندما استدار نحوها. أرخى كتفيه ونقل وزنه من باطن قدميه إلى كعبيه ثم عاد إلى الوضعية الأولى وتساءل عما إذا شعرت بكرهه لترك دفء كوخها. سألها: «هل أنت متعبة؟».

ـ أشعر بكسل. أنا سعيدة لأنك رفضت أن أساعدك في التنظيف.

صدقها جعله يبتسم ويشعر بالراحة.

أعادت ترتيب الوسائد خلف ظهرها ثم قالت: «أخبرني عن أختك».

لم تصل الكلمات إليه على الفور، وعندما فعلت بدت أشبه بسكين يمزّق أحشاءه بعنف. تراجع خطوة إلى الخلف وأراد أن يصرخ بكلمة «لا» إلا أنه عض شفته. كان الليل بارداً لكنه لا يقارن بالبرودة التي اجتاحت جسمه وسألها: «لماذا؟».

خرجت الكلمة حادة في الصمت الذي ساد الكوخ لكن جوزي بدت غافلة عن ردّ فعله وعن الصعوبة التي يواجهها في التقاط أنفاسه.

ـ لأنني لطالما أردت أختاً.

فكّر في شقيقيها، وسجّل تعبير وجهها الحزين وفهم السبب.

ـ ما كان اسمها؟ ما الذي كانت تحب أن تفعله؟

حاول أن يتجاوز ألمه من أجل جوزي وأجاب: «كان اسمها ربيكا واعتدت أن أناديها بيك فيما الآخرون ينادونها بيكي».

تكلّم بصوت متقطع فيما صورة وجه بيك وهي تلتفت نحوه وتضحك في مركبها تتراءى له.

ـ لطالما أحببت هذا الاسم.

وغطت عينيها براحتها لتحميهما من الضوء القوي الموضوع فوقها قبل أن تسأله: «هل يمكننا أن نستخدم المصباح الجانبي فقط؟».

أضاء المصباح ثم أطفأ الضوء القوي فانتشر النور الخافت والدافئ في الغرفة. ربتت جوزي على السرير بقربها فيما ارتسمت على وجهها ابتسامة ناعمة تمنى لو يذوب فيها. لكنه فضّل أن يجلس في كرسي كلانسي فهو لا يثق بنفسه لو اقترب منها أكثر لاسيما وأنّ الظلام أرخى بسدوله خلف النافذة.

ـ هل كانت بيكي تحب لعب البنات أم ألعاب الصبيان؟

سؤالها هذا جعله يضحك وأجاب: «كانت مثال التهذيب والسلوك الحسن في حضور الآخرين. لكن عندما نكون وحيدين تتبدّل وتحاول أن تلعب معي بخشونة وتسقطني أرضاً».

ابتسمت جوزي وسألته: «هل كانت تنجح؟».

ابتسم بدوره وردّ: «مستحيل. كانت أصغر مني بسنتين وقامتها توازي قامتك تقريباً».

ـ ماذا كانت تحب أن تفعل؟

أخبرها عن حب بيكي للإبحار، وعن عملها كأخصائية في علم الأمراض وعن إدمانها على الحلوى بالزنجبيل، وعن المرة التي صبغت فيها شعرها بلون أرجواني داكن وهي في الخامسة عشرة من عمرها فأمضوا فترة الميلاد كلها وهم ينادونها الآنسة خوخة. وكلما طال الحديث عنها كلما أصبح الأمر أسهل. وأخيراً، توقّف عن الكلام فشعر ولسبب ما يجهله وكأن عبئاً زال عن كاهله.

تنهّدت جوزي وقالت: «أنا أحسدك. ليس على فقدان بيكي بالطبع فهذا مريع».

تملّكه الحزن لكن ثقل هذا الشعور لم يعد يضغط عليه كما في السابق.

ـ بل على العلاقة التي جمعتكما... كانت جميلة فعلاً.

أومأ برأسه.إنه يتعرّض لخطر النسيان. وتأمل جوزي للحظة قبل أن يسألها: «أليس الأمر مماثلاً بينك وبين أخويك؟».

توقّع منها أن تتوتر لكنها لم تفعل بل ردت: «إنهما يكبراني بأكثر من عشر سنوات. لم نترعرع معاً فهما شقيقاي من زواج أبي الأول».

كلماتها هذه فسّرت الكثير من الأمور. ورأى كينت فجأة الصورة

بوضوح مع ما يظن أن مارتي وفرانك يشعران به من غيرة وحقد على شقيقتهما الصغرى.

أضافت وكأنها قرأت أفكاره: «كانت حياتهما أقسى من حياتي فقد عاشا مع والدتهما وهي امرأة قاسية وعنيفة».

قاطعها ليقول بلطف: «هذا ليس ذنبك».

ـ لا، لكني أريد مدّ جسور التواصل معهما بقدر ما أستطيع إذ وعدت والدي بأن أحاول.

ورمقته بنظرة حادة قبل أن تسأله: «ما الذي قاله مارتي حين تحدّثت إليه؟».

أجاب بلهجة مطاطية: «تركت رسالة على المجيب الآلي».

ـ لم أكن أسأل عن الليلة بل حين تحدّثت إليه للمرة الأولى.

لم يشأ أن يضايقها إنما لم يشأ أن يكذب عليها أيضاً. أرادها أن تأخذ حذرها من مارتي وفرانك فقال: «قال إنّ لديه الكثير من العمل وسيجد صعوبة في الحضور قبل نهار الثلاثاء القادم».

ـ آه!

عندما رأى التعبير الذي ارتسم على وجهها، أراد أن يسحق مارتي ويحطم أنفه. وتنهدت قائلة: «إنهما مشغولان دوماً. أعتقد أنهما يختبئان خلف عملهما».

ولوت الغطاء بين أصابعها وهي تضيف: «أظن أنهما يخشيان أن يحباني».

انفجر قائلاً: «ما هذا الهراء!».

قابلت نظرتها نظرته وقالت: «أظنه النوع نفسه من الهراء الذي تلجأ إليه يا كينت».

هبّ واقفاً وراح يفرك عنقه من الخلف: «لقد تأخر الوقت وعليك أن ترتاحي قليلاً».

همست: «جبان».

لكنها استلقت من دون اعتراض فيما سوّى كينت الأغطية حول كتفيها.

ـ تصبحين على خير يا جوزي.

ـ تصبح على خير يا كينت.

تردد للحظة وقد شعر بحاجة لأن يطبع قبلة على جبينها لكنه عاد وتراجع في اللحظة الأخيرة. رافقه توبيخها الساخر حتى وصل إلى المنزل وعذّبه في منامه وكأنه كلب شارد يتغذى على أحلامه.

بعد أن رحل كلانسي بعد ظهر يوم الجمعة، شعرت جوزي بالملل من التحديق في جدران غرفتها الأربعة. في الواقع، تملّكها الملل منذ البارحة لكن جلوسها من دون عمل أضحى بغيضاً اليوم. تشاجرت مع كينت هذا الصباح بشأن استبدال ملابس النوم بملابس عادية وخسرت المعركة. لفّت دثارها حول كتفيها جيداً وربطته على خصرها ثم طوت الكرسي وحملتها إلى الشرفة حيث فتحتها مجدداً وجلست عليها وهي تتنفس بحدة. كرهت شعورها بالتعب والضعف عند بذلها أي جهد مهما كان بسيطاً.

كما كرهت أن تتشاجر مع كينت.

وخطر لها أنه لا ينظر إليها حتى كامرأة الآن. فطّبت. نعم، لقد أظهر اهتماماً ودوداً بها، وهزأ من مهاراتها في لعب الشطرنج وأشاد ببراعتها في حلّ الكلمات المتقاطعة. وأدركت أن معنوياتها في أدنى درك حين وجدت نفسها تتمسّك بما قاله عن براعتها في حلّ الكلمات المتقاطعة.

www.liilas-romance.com

وازداد تقطيبها عمقاً. لعلها ليست من نوعه المفضّل من النساء. تلك الحميمية الجديدة التي نمت بينهما منذ تحدثا عن أقاربهما اختفت أيضاً. كان كينت يبتعد عنها بشكل تدريجي ولم تعرف كيف تمنعه من ذلك.

وصدر عنها صوت نمّ عن نفاد صبرها. لم تأتِ في عطلة إلى هذا المكان لتصبح مهووسة برجل. إذا أراد أن يبتعد عنها فهذا شأنه. لقد أتت إلى هذا المكان لتضع خطة لمستقبلها، ألم يكن هذا هدفها؟ لكن الحال لم يتغيّر عما كان عليه عند وصولها.

لم يبقَ أمامها سوى أسبوع واحد. ويتوقّع مارتي وفرانك رداً منها بشأن ما ستفعله عند انتهاء العطلة. واستطاعت أن تتخيّل تقطيبهما الجاد، وأن تسمع ضرب قدميهما تعبيراً عن نفاد صبرهما.

يا إلهي! وما شأنهما بذلك؟ فهما لن يدعماها مالياً أو ما شابه...

ـ مرحباً! من ذا الذي أثار غضبك وترغبين في قتله؟

إنه كينت. ومررت يدها على ذقنها في حركة وعيد.

ـ أما زلت تتخيّلين أنك تسلخين جلدي انتقاماً لشجارنا في الصباح؟

أعلمتها ابتسامته أنه لا يكنّ لها أيّ ضغينة ووجدت نفسها تبادله الابتسام وتجيب: «لا، لكني أجد نفسي منكمشة كلما تذكّرت».

جلس على درجة السلم الوحيدة وقد اتسعت ابتسامته: «لا، لا تشعري بالاستياء. أنتظر بفارغ الصبر أن ترتدي مجدداً ملابس النوم القصيرة الزهرية اللون».

ممازحته لها بهذا الشكل أضرمت النيران في عروقها رغم أنها تعلم أنه لم يتعمّد ذلك: «ملابس مضحكة، أليس كذلك؟».

حاولت أن تتجاهل المشاعر التي اجتاحتها وهي تضيف: «ملابسي تثير ضحكك أليس كذلك؟».

ـ لا بل تثيرني وتزعجني حين يجمح خيالي نحو صور غريبة.

ابتلعت جوزي ريقها بصعوبة وتدفّقت الدماء حارة في عروقها حتى ظنت أن الحمى عاودتها. تراجع كينت إلى الخلف وكأنه لا يصدّق أنه تلفّظ بهذه الكلمات. وهكذا، لفّهما التوتر.

هبّ واقفاً وهو يطلق شتيمة ثم ابتعد بضع خطوات عنها. توقّعت جوزي أن يتجه نحو الأشجار ويتابع المسير حتى يختفي عن ناظريها ومن دون أن يلتفت إلى الخلف. لكن عندما لم يفعل، تأملته عيناها الظمآنتان لرؤيته وسجّلت في الذاكرة كل قطعة وكل زاوية من جسده الرشيق.

التفت ليواجهها فلاحظت أنه يكافح ليحول دون ظهور التقطيب على وجهه. وقال لها بحدة: «أنا آسف. من الأفضل أن تنسي ما قلته».

لم تشأ أن تنسى. أرادت...

ـ لقد قررنا من قبل أنّ مثل هذا الكلام أو السلوك ليس مقبولاً ولا منطقياً.

هل فعلا؟ متى؟ ودمدمت متذمرة: «مللت من المقبول والمنطقي».

أظلمت عيناه ثم ابتسم وقال: «على أيّ حال، أنت لست مؤهلة يا جوزفين بيترسون للقيام بأي جهد».

وجلس مجدداً على الدرجة مضيفاً: «لذا، وبانتظار أن تستعيدي عافيتك، لماذا لا تخبريني لِمَ كنت تحدقين في هذا المشهد الرائع وكأنك تريدين أن تلحقي به الأذى؟».

9 ـ كنت طبيباً

قلبت جوزي شفتيها وأرخت كتفيها فودّ كينت لو يضعها في حجره ويضع رأسها على كتفه ويلف ذراعيه حول جسمها النحيل حتى تختفي هذه الكآبة عن وجهها.

هذه ليست بالفكرة الجيّدة، فهو لا يحتضن أحداً مواسياً. وكان واثقاً من أن جوزي ستسيء فهمه إذا ما أخذها بين ذراعيه. لا يمكنه أن يدع هذا يحصل، ولا يمكنه أن يدعها تعتمد عليه.

لولا شقيقاها اللعينان لما فعل لكنها تحتاج إلى من يعتني بها. وقد وقع الخيار عليه ليقوم بهذه المهمة، علماً أن كلانسي وليز يمكنهما أن يلعبا هذا الدور بنجاح.

ـ هل قال مارتي أيّ شيء آخر حين تحدّثت إليه؟ وهل اتصل فرانك؟

ـ لا ولا.

حاول ألا يعكس صوته الغضب الذي يشعر به.

تدلّت شفتاها أكثر فأضاف: «أعني أنه بدا قلقاً على صحتك طبعاً. وشعر بالارتياح حين أخبرته أنك ستكونين بخير».

ولا يعني هذا أنه اتصل في اليومين الماضيين ليطمئن عليها. بقيت هذه الفكرة عالقة في الصمت بينهما. وسألها: «لماذا؟».

رفعت أحد كتفيها وردّت: «ما من سبب».

ـ هل هما سبب ذاك التعبير الذي بدا على وجهك وكأنك ترغبين في قتل أحدهم؟

إنه يفهم شعورها هذا. وهو مستعد في الواقع لأن يمد لها يد العون إذا ما أرادت ذلك.

ـ آه، لا!

وهزّت رأسها بسرعة فتطايرت الخصلات البنية والنحاسية والخمرية حول وجهها قبل أن تعود وتستقر على كتفيها.

ـ أتعلم؟ لم أحدد بعد ما سأفعله بما تبقى من حياتي ولهذا السبب أخذت هذه العطلة أصلاً.

لفته نبرة الذعر في كلماتها فاستدار في جلسته ليواجهها تماماً. وقال: «دعينا نستعيد الموضوع من البداية. لِمَ لا تستمرين في العمل الذي كنت تمارسينه قبل قدومك إلى ايغل ريتش؟».

ابتسمت ابتسامة حزينة أصابته في الصميم قبل أن تجيب: «اعتنيت بوالدي طيلة السنتين الماضيتين. وهذا العمل لم يعد موجوداً».

غصّ كينت وقال: «أنا آسف، أنا..».

قاطعته ملوحّة بيدها: «الذنب ليس ذنبك. لم أشأ أن أضع والدي في دار رعاية لذا تابعت دراستي كمساعدة في التمريض. لست نادمة على ذلك وأقدّر الوقت الذي أمضيته معه».

ـ لكنك لا ترغبين في أن تقومي بهذا العمل بعد اليوم؟

ـ لا، لم أعد أرغب في ممارسة هذا العمل.

ومرّ ظل على وجهها قبل أن تضيف: «ليس بعد الآن».

فهمها، فمراقبة شخص وهو يذوي ويموت من أصعب التجارب في الحياة، لاسيما إن كان هذا الشخص إنساناً تحبه.

ـ ما كان نوع عملك يا كينت قبل أن تقرر أن تغيّره وتأتي إلى هنا؟

www.elromancia.com

طرحت عليه هذا السؤال على حين غرة فأدرك أنها لم تصدّقه حين أخبرها في السابق.

ـ كنت طبيباً.

كرّس حياته لإنقاذ حياة الناس، لكنه ابتعد سريعاً عن المجتمع بعد أن أدرك أنه موهوب أكثر في تدمير العالم من حوله. ولو كان يتمتع بذرة من الحياء لترك جوزي وشأنها أيضاً.

ـ أنت طبيب؟

اندفعت جوزي إلى الأمام بسرعة أوشكت معها أن تقع أرضاً لو لم يسارع كينت إلى اسنادها. التفت أصابعه حول ذراعها دافئة ونابضة بالحياة، وتملكتها رغبة لا تقاوم في أن تقع بين ذراعيه لكنه أبعد يده قبل أن تُقدم على أيّ تصرّف سخيف.

ـ كنت طبيب صحة عامة.

يُفترض ألا يكون كلامه منطقياً لكنه بدا لها منطقياً بطريقة ما. وأرادت أن تبكي: «ولماذا...؟».

لكنها ابتلعت ما تبقى من كلامها بعد أن لاحظت نظرته.

ـ وجدت أني غير مناسب لهذه المهنة.

لم تصدّق كلامه أبداً.

ـ إذن، تعليمات الطبيب التي اتبعتها هي تعليماتك أنت؟

ـ نعم.

وهزّتها موجة من الدوار. هل توقّف عن ممارسة مهنته بسبب أخته وأمه؟

ـ يمكنك طبعاً أن تستشيري طبيباً آخر. الدكتور جنكينز لا يمانع في معاينة المرضى في منازلهم. يمكنني أن أتصل به إذا رغبت في ذلك و...

ـ لا.

وحملقت فيه مروّعة قبل أن تضيف: «أنا أثق بتشخيصك».

غاب العبوس عن وجهه لكنه لم يترك عينيه فتابعت: «لقد ساعدت مولي على الشفاء، أليس كذلك؟».

عند سماع اسمها، رفعت مولي رأسها وهزّت ذيلها.

ـ وكانت في حال أسوأ من حالي.

التوت شفتاه في ابتسامة مثقلة بالمرارة وقال: «أكره أن أذكّرك يا جوزي بأن مولي مجرد كلب».

ـ مولي ليست مجرد أيّ شيء. إنها مُحبّة وظريفة وقد جعلتها تتعافى كما ساعدتني أنا كي أُشفى. لا أظن أبداً أنك غير مناسب لمهنتك.

إلا أنها لم تشأ أن تراه يعبس مجدداً فلم تضف المزيد. استندت مجدداً إلى ظهر كرسيها وأردفت: «وهذا لا يعني أنني استفدت كثيراً».

ارتفع حاجباه فضحكت وقد أدركت ما قالته للتو: «عنيت على صعيد الإلهام والنصيحة. لم يساعدني هذا على تحديد ما أريد أن أفعله في المستقبل».

انتصب وجهاً مارتي وفرانك أمامها فتبخّر مزاجها المرح على الفور ووبّخت نفسها على عبثها.

أسبوع واحد. التفتت نحو المشهد الممتد أمامها ولم تستطع أن تكبح تنهيدتها. وانتقلت عيناها نحو الرجل الجالس على درجة السلم.

ـ ما الذي كنت تفعلينه قبل أن تتولي رعاية والدك؟

ـ كنت أتابع دراستي الجامعية لنيل شهادة في التعليم.

رفع أحد حاجبيه لكنها هزّت رأسها: «فكرة الدراسة لا تثير فيّ أيّ حماسة. كما أني لا أرغب في ترك بوشانن بوينت وما من فرص كثيرة للمدرّسين في المنطقة».

www.elromancia.com

ـ لِمَ لا تريدين ترك المكان؟

ـ إنه المكان الذي أنتمي إليه. وهناك البيت أيضاً وهو متوارث في العائلة منذ أجيال. لا يمكنني أن أتركه وحسب.

ـ ألا يمكن لأخويك أن يهتما به؟

وأضحت السماء كئيبة على الرغم من عدم وجود أيّ غيمة فيها.

ـ المنزل لوالدتي وقد عاشت عائلتها فيه منذ بنائه قبل أكثر من مئة عام.

وهي لن تبيعه.

حدّق كينت فيها للحظة ثم ابتسم ابتسامة عريضة تنمّ عن رضا وقال: «إن كنت تملكين منزلاً يا جوزي فلديك على الأقل سقف فوق رأسك».

ـ لديّ بيت.

بدت الرقة في عينيه وقال: «أخبريني عنه».

هزّت كتفيها. من أين تبدأ؟ لكن ابتسامتها اتسعت وهي تفكر في بيتها: «إنه جميل ويحمل اسم جيرالدين غاردنز. وهو المنزل الوحيد على الجرف ويشرف على المدينة والشاطئ. ثمة درب صغيرة تفضي إلى شاطئ خاص. إنه صغير إنما جميل».

استقام في جلسته وسألها: «ماذا عن البيت؟».

ـ إنه جميل أيضاً. تحيط به الشرفات وهو مزخرف بشكل رائع.

واعترفت قائلة: «إنه أكبر من أن يعيش فيه شخص وحيد، لكن... لكن من يعلم ما يخبئه المستقبل؟».

كانت تحلم بأن تملأه بعائلتها الخاصة.

ـ هل هو كبير جداً؟

وضاقت عيناه قبل أن يسأل مجدداً: «كم يبلغ عدد غرف النوم؟».

ترددت قبل أن تجيب: «ثمانية».

ـ ثمانية!

وهبّ كينت واقفاً وهو يقول: «أنا..».

ـ نعم، إنه كبير.

وتنظيفه يتطلّب الكثير من الجهد لكنه يستحق العناء وهي لن تبيعه.

ـ جوزي؟ ألا يمانع مارتي وفرانك إذا ما احتفظت بالمنزل؟

ـ يريدان مني أن أبيعه. إنهما يريان أنه كبير عليّ.

عقد كينت حاجبيه.

ـ لكن المنزل أشبه بإرث عائلي.

وابتسمت له إذ أدركت بالغريزة أنه سيفهمها: «أحتاج لأن أحافظ عليه لأورثه للجيل القادم».

لامس خدها بأطراف أصابعه وقال: «أحسدك على بيتك يا جوزي بيترسون».

تخبّط قلبها كالمجنون بين أضلعها وقالت: «إذن، عليك أن تأتي لزيارتي يوماً ما. لن نعاني من ضيق المكان بالتأكيد. إذا ما مررت من هناك..».

كانت تعلم أنه أمل كاذب وأنها تثرثر أيضاً.

أبعد أصابعه عن وجهها بسرعة قائلاً: «حان الوقت كي تعودي إلى فراشك».

ـ لكني لا أبذل أيّ جهد. أنا جالسة وحسب.

واختفت رغبتها في الجدال حين انحنى ورفعها بين ذراعيه. خفق قلبها بقوة: «أنا، يمممم....».

علق لسانها في أعلى حلقها لكنها تمكنت من أن تقول أخيراً: «أتعلم، يمكنني أن أسير».

www.elromancia.com

وهذا لا يعني أنها ترغب في السير، بل أرادت أن تبقى حيث هي الآن. وضعت ذراعها حول كتفيه، كتفيه العريضتين والجميلتين.

التقت عيناه بعينيه ثم انتقلتا إلى شفتيها. انفرجت شفتاها وانقطعت أنفاسها ثم هزّ تينك الحاجبين الرائعين وقال: «أريدك أن تحافظي على كامل طاقتك. إنها أوامر الطبيب».

إلا أنه لم يأتِ بأيّ حركة باتجاه باب الكوخ. وملأت رائحته الرجولية الحارة منخاريها.

ـ أنا...

تمنت لو تستطيع أن تتكلم كما ينبغي. وضحكت ضحكة مرتعشة قبل أن تضيف: «أظن أني سأحافظ على طاقة أكبر إذا ما وضعتني أرضاً من جديد».

ابتسم لها وسألها: «أحقاً؟».

كانت تحب مزاحهما.

ـ إن تأثيرك على معدل نبضات قلبي غريب وخطير يا كينت بلاك.

هزّ رأسه وقال: «هذا ليس جيداً للحفاظ على الطاقة. عليك أن تجدي حلاً لهذه المسألة».

ـ أقلت إنها أوامر الطبيب؟

ـ من دون شك.

انحبست أنفاسه عندما مررت راحتها على ذقنه النامية فيما تسارعت أنفاسها هي.

واستحال لون عينيه أزرق داكناً وعميقاً: «جوزي».

خرجت هذه الكلمة اليتيمة خشنة من حنجرته لكنه لم يقم بأي خطوة توحي بأنه سيضعها أرضاً فشعرت بنشوة النصر تتملكها.

ـ أتعلم؟

ورسمت خط شفتيه بأصابعها قبل أن تكمل كلامها: «أنا أخشى الكلاب الضالة والغوانا والوحدة التي تعني ألا يقع نظري على إنسان آخر على مدى ثلاثة أيام متواصلة، لكني لا أخشى هذا».

ومدّت يديها وطوّقت عنقه. اشتدت ذراعا كينت حولها لكنه حافظ على صلابته، رافضاً التجاوب معها أكثر.

عدم تجاوب كينت أثار موجة من الإحباط في داخلها. إلا أن التصميم انتصر، تصميم على أن تجبره على التجاوب.

وفجأة، سقطت الحواجز وانزلقت يداه لتحيطا بخصرها تقرّبها منه. عانقها بقوة وكأنه ينتقم لكل الإحباط السابق ولكل ما كبته من مشاعر، فردّت رأسها إلى الوراء وغرقت في بحر من الأحاسيس.

وفجأة، انتابتها نوبة سعال حاد.استندت إليه بعد أن انتهت النوبة، محاولة أن تستعيد أنفاسها وأن تستمد القوة منه. أمسكت يداه بكتفيها، يثبتها، يدعمها لكنها أحست به ينسحب بعيداً عنها.

يا له من عناق! لم تستطع أن تكبت الشعور بالنشوة الذي اجتاح جسدها. إلا أنّ نظرة واحدة إلى وجه كينت أعلمتها أن التجربة لن تتكرر اليوم. ولعل التجربة لن تتكرر غداً أيضاً بحسب ما يوحي عبوسه.

حسن، سيمنحها هذا فرصة كي تستعيد قواها. وبتنهيدة أسف، ابتعدت عنه وشرعت تقول بمرح: «حسن، كان هذا..».

ماتت الكلمات في حنجرتها للمرة الثانية عندما رفعها عن الأرض وحملها بين ذراعيه متجهاً إلى داخل الكوخ. عندما يحملها كينت بين ذراعيه تشعر وكأنها عادت إلى بيتها وموطنها.

وهي تشعر بحنين عميق إلى البيت، فقد حان الوقت.

ربما بقي وجهه متجهماً لكنه وضعها في السرير بلطف ونعومة.

www.elromancia.com

رمشت بعنف عندما تراجع إلى الخلف على عجل وكبتت رغبة في أن تئن لشعورها بالخسارة.

حدّق فيها وهي تجلس مستندة إلى الوسائد وقال: «كان هذا..».

ـ أشبه بالنعيم، متى يمكننا أن نعيد الكرّة؟

فغر فمه ثم استدار وسار إلى خارج الكوخ.

ـ مات الشاه.

دفعت جوزي لوحة الشطرنج بعيداً وهي تتنهد: «أدائي لا يتحسّن».

وبّخها كينت: «أنت لا تركّزين».

كيف يمكن لفتاة أن تركّز فيما كينت يجلس قبالتها ولا يفصل بينهما سوى لعبة الشطرنج، كينت الذي يثير في داخلها أحلاماً مغرية وعجيبة؟

اليوم هو الأحد، وقد مرّ يومان على عناقهما ذلك. لكن ذاك العناق هو كل ما استطاعت أن تفكر فيه جوزي خلال اليومين الماضيين. مضت الأيام الثلاثة التي كان يُفترض بها أن تقضيها في السرير لتستعيد عافيتها لكن كينت لا يرى أنها شفيت بما يكفي ليعانقها مجدداً.

ـ ماذا عن إعداد الولائم؟

جملته هذه أعادتها مؤقتاً إلى الواقع بعيداً عن أفكارها السابقة.

ـ يمكنك أن تؤسسي شركة خاصة بك كمتعهدة حفلات.

إذن، هذه هي القضية. لكنها افترضت أنّ الحديث في هذا الموضوع أفضل من عدم الحديث. فقد توقّعت منه أن يغادر المكان ما إن يهزمها بلعبة الشطرنج، تماماً كما فعل بالأمس.

ـ لا يمكنني أن أعمل كمتعهدة حفلات.

كانت قد فكرت في هذا الخيار من قبل واستبعدته.

ـ لِمَ لا؟

ـ تحتكر سوزانا دوفريتز السوق في بوشنان بوينت وفي القرى والمناطق المجاورة.

ـ أتخشين بعض المنافسة؟

كشّرت عند سماعها نبرة السخرية في صوته. وردّت: «مقبلاتها أفضل من مقبلاتي».

ـ أراهن على أنها لا تجيد تحضير كيك الشوكولا مثلك.

في الواقع، بدا وكأنه يعني ما يقول. وعاودتها فكرة معانقته إلا أنها هزّت رأسها وقالت: «سوزانا تربي وحدها ثلاثة أطفال يرتادون المدرسة. كما أنها تكدّ في عملها ولن أسرق منها زبائنها».

ـ ولا حتى لتنقذي البيت... بيتك؟

ـ الناس أهم من الحجارة والطين.

وتابعت تقول: «أفضّل أن أهتم بمريض مصاب بالجنون على أن أفعل هذا».

ربما ما كانت لتبدو هذه الفكرة سيئة لو لم تعتنِ بوالدها؟ وانقبضت معدتها عندما راودتها الفكرة.

ـ لا تفعلي هذا.

ربما لن تجد أمامها أي خيار آخر. وتملكها الإحباط.

ـ آه، أيها الصياد الضخم.

وانكمشت على كرسيها ثم أشارت إلى جدار المطبخ.

وقف كينت على قدميه ولف صحيفة اليوم السابق وتقدّم نحو العنكبوت القليل الحظ. سارعت جوزي خلفه وانتزعت الصحيفة من يده قائلة: «ما الذي تظن نفسك فاعله؟».

حدّق فيها وأجاب: «سأسحقه».

اتسعت عيناها وقالت: «لكنك أكبر منه بمليون مرة».

وسددت ضربة إلى ذراعه بالصحيفة المفتولة قبل أن تضيف: «إنه مجرد عنكبوت».

ـ أنت من قال...

ـ لم أطلب منك أن تقتله!

وضربته مجدداً وهي تردف: «كوني أنثى لا يعني أنني سأركض وأنا أولول بسبب عنكبوت».

ـ لكنك فعلت هذا بسبب كلب وغوانا.

ـ سأدّعي أني لم أسمع كلامك هذا.

وحملقت فيه مضيفة: «ابتعد عن طريقي».

فتحت جوزي الصحيفة، وطوتها عند الوسط ثم وضعتها تحت سيقان العنكبوت ببطء شديد، شديد حتى استقرت الحشرة عند طرفها. بعدئذ، عبرت الغرفة واتجهت إلى الخارج من دون أن ترفع عينيها عن العنكبوت. وكانت قد وصلت إلى منتصف الطريق بين كوخها وأقرب مجموعة من الأشجار، حين وقف العنكبوت على سيقانه وسار على الصحيفة متجهاً نحوها. أسقطت الصحيفة من يدها بعد أن أطلقت صيحة وتراجعت إلى الخلف.

ومن موقعه على الشرفة، ضحك كينت إلى حدّ اضطر معه للجلوس.

ـ لم أقل إني أريده عليّ!

وحدّقت فيه لكن هذا زاده ضحكاً وقال: «وجدت لك مهنة المستقبل يا جوزي».

دمدمت فيما شفتاه ترتعشان: «من الأفضل أن يكون هذا جيداً».

ـ ممثلة كوميدية.

ـ ها ها ها، مضحك جداً.

وارتمت على الشرفة بجانبه ثم راحت تتلفت من حولها بقلق قبل أن تسأل: «أين اختفى؟».

ـ لا تخشين العناكب، صحيح؟

رفعت ذقنها وردّت: «لا أخشاها إلى حدّ قتلها».

ابتسم لها وهزّ رأسه ثم حاول أن يشيح بنظره عنها لكنه لم يفعل بل عانقها بقوة.

غطّت عينيها غشاوة. وعندما انقشعت أخيراً، استطاعت أن تلاحظ أنه ندم على تصرّفه العفوي هذا. وأقسمت على أن تأخذ الأمر ببساطة وتبقي الجو بينهما خفيفاً. فقالت: «مع هذا النوع من التشجيع الايجابي لن أخشى العناكب بعد اليوم».

وجعلها دافع ما تضيف: «إنما سأحتاج جلستين أو ثلاث من العلاج نفسه قبل أن أشفى تماماً».

عندما ارتسمت على وجهه ابتسامة، كانت ابتسامة بطيئة، طويلة، جعلت قلبها ينفجر.

ـ أنت امرأة غريبة، أتعلمين هذا؟

هزّت كتفيها وردّت: «إذا كانت الكوميديا مستقبلي فمن الأفضل أن أبدأ التدريبات».

لكن مسألة الكوميديا كانت مجرد مزحة وكلاهما يعرف ذلك.

ـ ماذا لديك من مشاريع للساعتين القادمتين؟

ضاقت عيناه وسألها: «لماذا؟».

استندت إلى الخلف ورفعت أحد حاجبيها: «هذا السؤال يتطلب جواباً لاذعاً».

وأشفقت عليه حين مرر يداً على وجهه فأردفت: «أودّ أن أحضّر الكيك بالشوكولا».

أرادت أن تهب واقفة لكن يده على ذراعها أوقفتها: «يُفترض بك ألا ترهقي نفسك».

ـ لا تقلق.

وابتسمت له ابتسامة وقحة مضيفة: «أنت من سيقوم بالعمل الشاق كله».

لا يعلم كيف تمكّنت جوزي من ذلك، لكنها حوّلت تحضير الكيك إلى عمل مسلٍ وممتع. حاول أن يقنع نفسه بأنه بقي ليمنعها وحسب من أن ترهق نفسها لكن هذه مجرد كذبة. بقي هنا لأنه لا يستطيع الابتعاد.

عندما ابتسمت جوزي خف الضيق في داخله. استمتع برؤية يديها الرشيقتين تقيسان المقادير. واستمتع بسخريتها من عدم لباقته في استخدام الملعقة الخشبية، كما استمتع بمراقبة اللون وهو يعود إلى وجنتيها.

وضعت جوزي قالب الحلوى في الفرن قبل أن تعود نحو الوعاء الذي أعدّت فيه المزيج فمررت إصبعها على جوانبه بعناية ثم وضعت إصبعها في فمها وأغمضت عينيها تتلذذ بالطعم.

فتحت عينيها وكأنها أدركت أنه يراقبها ثم رفعت الملعقة الخشبية نحوه وحثّته عندما لاحظت تردده: «هيا، أراهن على أنك أنت وبيكي لطالما تشاجرتما للحصول على الملعقة الخشبية عندما كانت والدتكما تحضّر الكيك في طفولتكما».

تراجع إلى الخلف منتظراً أن تملأ المرارة معدته لذكرها عائلته،

إنما هذا لم يحصل فمد يده ليأخذ الملعقة قائلاً: «لم تكن من النوع الذي يُكثر من تحضير الحلوى. كانت بارعة في تحضير الحساء».

في الشتاء، كان يسارع إلى المنزل بعد المدرسة ولعابه يسيل لفكرة ما ينتظره في المنزل لدى وصوله.

لم يفكر في هذا منذ زمن بعيد.

ـ حساء!

حدّقت فيه جوزي باستنكار ساخر وأردفت: «اعتادت أمك أن تحضّر ألذ أطباق الحساء، إلا أنك تجرأت على إطعامي الحساء المعلّب؟».

كشّر لكنه تمنى في سره لو أعدّ لها قدراً كبيرة من الحساء المنزلي: «سأكون صادقاً معك. ظننت أنك لن تلاحظي... أو تكترثي».

ـ أتريد الصدق؟

ودنت منه أكثر وكأنها تفشي له سراً: «أنت محق فعلاً».

أراد أن يعانقها مجدداً فتراجع نحو الطاولة وجلس وهو يلعق الملعقة. حوّلت جوزي هذا الكوخ إلى المكان الأكثر دفئاً وجمالاً في هذه الناحية من الجبل، ولعله المكان الأكثر دفئاً في الجبل كله.

وجعله هذا يفكر أيضاً. يمكنه أن يُدخل تحسينات على كافة الأكواخ كما فعلت جوزي وأن يحسّن المنزل أيضاً.

ربما عليها أن تعمل في عالم الديكور. وتساءل إن كان على المرء أن يتمتع بمؤهلات معيّنة أو ما إن...

تململ في كرسيه عندما تراءى له الحل لمشكلة جوزي وسألها: «كم غرفة نوم لديك في جيرالدين غاردنز؟».

أجابت من دون أن تلتفت إليه من حيث وقفت عند الحوض تغسل الأطباق: «ثمانية».

ـ وكم غرفة جلوس؟

رمقته بنظرة من فوق كتفها ثم عادت إلى غسل الأطباق مجدداً: «الغرفة الرسمية وتلك غير الرسمية، وغرفة العائلة والغرفة الشمسية، وغرفة الفطور والمكتبة. وهناك غرفة الرقص».

كم يبلغ حجم هذا المنزل؟

ـ جوزي...

حاول أن يبقي صوته متوازناً، حاول أن يُبعد الإثارة عن صوته وهو يضيف: «لِمَ لا تحوّلين جيرالدين غاردنز إلى فندق للمنامة والفطور؟».

أسقطت القصعة التي كانت في يدها والتفتت لتواجهه. وتساقط الصابون عن أصابعها فيما فغرت فمها فرغب كينت في معانقتها مجدداً.

لم تتمكّن جوزي من كبت إثارتها فسارعت نحو الطاولة ثم أمسكت بيديه وسألته: «هل تظن فعلاً أني أستطيع أن أفعل هذا؟».

ـ يمكنك ذلك طبعاً.

شدّ على يديها قبل أن يتركهما بلطف ويتراجع إلى الخلف ليراقبها.

بادلته التحديق وحبست أنفاسها وأملت أن يعجبه ما رآه.

ـ أعني، انظري ما الذي فعلته بهذا المكان.

أدركت أن ابتسامتها واسعة بشكل يثير السخرية. إنّ مظهر كينت جميل إلى حدّ يجعل نبضها يتراقص لا بل أكثر من ذلك. كان يتمتع باللطف والكرم ومهما حاول أن يخفي ذلك، كانت صفتاه هاتان تظهران على السطح وبوضوح.

أدركت الآن ما عناه كلانسي، فكينت لا تناسبه هذه الوحدة

وهذه العزلة مثلها تماماً. إنّ دفن نفسه بهذه الطريقة في هذا المكان جريمة.

وتناهى إليها صوت من أعماقها يذكّرها بأن هذا الأمر لا يعنيها أبداً.

لن يستمع كينت إليها. سيقطّب ويبتعد عنها ويسرّه أن يراها ترحل.

وتابع كلامه: «إذا استطعت أن تفعلي هذا كله هنا، فما الذي يمكن أن تفعليه في جيرالدين غاردنز؟».

تملّكته الإثارة.

ـ أراهن أن بوشنان بوينت غنية بالأعمال الحرفية المحلية التي يمكنك تقديمها للضيوف.

يمكنها أن تجعل كل غرفة مميّزة وتزّينها بحسب موضوع محدد. كما يمكنها أن تضع اعلاناً في الكتيّبات السياحية الخاصة بالمنطقة.

ربما تتمكن أيضاً من تنظيم جولة أو اثنتين في الكروم المجاورة أو المستعمرة التي أعيد إنشاءها على مسافة أقل من ساعة.

ـ كما يمكنك أن تعرضي المنتجات المحلية.

إنه محق. فسوزانا تعدّ أفضل الفواكه المحفوظة كما أن النساء من جمعية المرأة سيسرهن أن يزوّدنها بما ينتجنه من مخلل ومربيات.

وأضاف: «ولعل الأهم هو أنك تجيدين التعامل مع الناس، لا بل أنت رائعة معهم يا جوزي. ستكونين مضيفة مميّزة».

وجدت أنها بدأت تغوص في العالم الذي يرسمه... لكنها عادت تجلس مستقيمة وقد ارتخت كتفاها وقالت: «ثمة المئات من المدن الصغيرة التي تمتد على طول الشاطئ في نيو ساوث وايلز وهي تشبه بوشنان بوينت. ودعنا لا ننسى المدن الكبيرة التي تقدّم للزوار الحياة

الليلية والمطاعم والنشاطات اللافتة. كيف يمكنني أن أنافس هذا كله؟ ما الذي يمكنني أن أقدمه غير الإقامة في منزل جميل؟».

ـ تحتاجين إلى نقطة قوة تميّز الفندق.

وراح يقرع على الطاولة بأصابعه قبل أن يضيف: «كم كنت تكرهين النواحي التمريضية من العناية بوالدك؟».

حدّقت فيه مستغربة سؤاله.

ـ أعني الحمام والطعام، والحرص على أن يتناول أدويته، الخ...

ـ لم يكن هذا يزعجني أبداً.

ما كرهته هو أن تراقبه وهو يموت بين يديها.

ـ إذن، لِمَ لا تجعلين الإقامة مخصصة للمعوّقين ومن يرافقونهم للاعتناء بهم؟ إنّ نسبة المتقدمين في السن كبيرة في هذه البلاد وهي في تزايد مستمر. إنّ مؤهلاتك مفيدة لاسيما إذا استطعت أن تمنحي المرافقين بعض الوقت الحر يومياً ليخصصوه لأنفسهم.

فغرت فمها. مرّت أيام تمنت فيها لو تحظى ببعض الوقت لنفسها. لم تكن تحلم بهذا الوقت الحر لتقوم بشيء مميّز بل لتقصّ شعرها أو لتتجوّل في المكتبة المحلية أو حتى لتجلس وترتشف كوباً من القهوة لن تعدّه بنفسها. كان هذا ليساعدها. لم يكن لدى مارتي وفرانك متسع من الوقت ليجالسا والدهما فهما شديدا الانشغال.

ـ هل لديك أيّ مدخرات؟

ـ البعض منها. لماذا؟

ـ لأنك ستحتاجين بعض المال لتلبية حاجياتك حتى يبدأ المال بالتدفّق.

إنه محق. وأجرت عملية حسابية سريعة في رأسها. إذا ما اقتصدت فستتمكن من تدبّر أمرها لبضعة أشهر.

ـ ستنفقين بشكل أساسي على الاعلانات.

آه، لم تدرج هذا ضمن حساباتها.

ـ دعيني استثمر في المشروع يا جوزي.

فغرت فمها فأضاف: «لا تقلقي. أنا لا أتصرف بشهامة ونكران للذات».

لكن ابتسامته أوحت بعكس ذلك وتابع: «تركت الكثير من المال جانباً وأشعر بأن المشروع سيدرّ عليّ الأرباح الطائلة».

هل يؤمن بها وبقدراتها إلى هذا الحد؟ أشاحت بنظرها عنه وأجبرت نفسها على التفكير في العرض جيداً.

هبط قلبها وحاولت أن تبتلع المرارة التي تصاعدت إلى حلقها وقالت بصوت متهدج: «لا».

تراجع إلى الخلف وكأنها صفعته وسألها: «لِمَ لا؟».

لأنه أوضح لها جلياً أنه لا يريد أيّ التزام شخصي. إذا ما استثمر في مشروعها فسيبقى ضمن إطار حياتها لفترة طويلة، يعانقها ومن ثم يهرب مبتعداً. ولن تتمكن من منع نفسها من بناء أحلام أكبر وأوسع حوله.

ولن تمضي قدماً في حياتها.

حدّقت في خطوط وجهه النحيلة والقاسية فجفّ فمها. في الأسابيع الثلاثة الماضية، تهوّرت وأقدمت على أغبى شيء في العالم. لقد وقعت في حب كينت بلاك.

متى؟ عندما كان يعتني بها فيما هي مصابة بالحمى؟ أم قبل ذلك... حين أنقذها من الغوانا ربما أو حين لعبا الشطرنج لأول مرة؟ ربما حصل هذا يوم رأته يسبح في النهر أو...

لن يبادلها الحب يوماً. واستولى عليها الذعر. إنها تخشى الكلاب

والغوانا والقرادات والعناكب. كما أنها تخشى بريدجت أندرسون قليلاً فهي لا يمكن أن تحب امرأة كهذه.

وحتى لو حصلت معجزة ما وأحبها، لا يمكنها أن تعيش معه هنا في هذه العزلة التامة فهذا يتعارض كلياً مع طبيعتها وحقيقتها.

وهو لن يتخلى عن هذا المكان.

يا لها من ورطة!

انحنى كينت إلى الأمام وأمسك بذقنها بيده وراح يتأملها وجهها عن كثب: «أنت شاحبة. عليك أن تستريحي. سنناقش الموضوع لاحقاً».

أرادت جوزي أن تضحك. ليس لأنها تجد كلامه مضحكاً بل لأن اهتمام كينت بالتهابها الرئوي بدا لها فجأة تافهاً فيما قلبها مفطور.

إلا أنها لم تعترض بل صعدت إلى سريرها ودفنت وجهها في الوسادة.

بدت لها الدقائق كساعات فيما هي تنتظر كي ينتهي كينت من غسل آخر الأطباق وتجفيفها ومن ثم إخراج قالب الحلوى من الفرن. وتمنت لو تستطيع أن تصرخ عالياً حين بدأ بترتيب الكوخ. شعرت به يدور من حولها لكنها رفضت أن تستدير نحوه ورفضت أن ترفع وجهها من حيث دفنته في الوسادة.

ولم تترك الدموع الحارة تنهمر على خدّيها إلا بعد أن سمعته يغادر على رؤوس أصابعه لئلا يزعجها.

10 ـ هل أنت مجنونة؟

ـ لِمَ لا تدعيني أستمر في مشروعك؟

طرح عليها هذا السؤال بعد ظهر يوم الاثنين بعد أن غادر كلانسي. منذ البارحة، دارت هي وكينت حول بعضهما البعض بحرص... مع التركيز على الحذر الشديد والتهذيب الفائق.

ولم تعرف جوزي كيف يمكنها أن تعيش الأسبوع القادم إذا ما استمرت الأمور على هذا المنوال. ولم تعرف كيف ستعيشه إذا لم تستمر على هذا النحو. ما تعرفه هو أنها لا تريد الخوض في هذا الحوار.

جرّ كينت إحدى الكراسي ومدّ ذراعيه على ظهرها، فبرزتا في قميصه الضيق، وارتسمت كل عضلة بوضوح عبر القماش الأزرق الفاتح. تقوقعت جوزي على نفسها في إحدى زوايا الأريكة وحاولت أن تحول دون تلفظها بكلام لا معنى له.

كانت تكره المواجهات وتتجنبها كلما أمكنها هذا. لكن لغة جسد كينت أعلمتها أنها لن تتمكن من تجنّب هذه المواجهة بالذات. يمكنهما أن يحافظا على حوار سارٍ ومهذب. أخذت نفساً. ليس على الحوار أن ينحدر إلى مستوى الشجار أو النزاع.

ـ لِمَ ترفضين مالي؟

ـ في الواقع، أنا أقدّر عرضك يا كينت إنما لن أجازف بمالك فيما أنا لا أعلم إذا ما كنت سأحصد أرباحاً.

www.elromancia.com

ـ ستنجحين. أعلم أنك ستفعلين.

كادت ابتسامته تغريها.

ـ إذا ما استثمرت في مشروعك فسأحصد أرباحاً.

لا يمكنها أن تدعه يعتقد أنه قادر على جعلها تبدّل رأيها فقالت: «لِمَ تريد المزيد من المال؟ فليس لديك ما تنفقه عليه هنا».

بدا عليه الضيق وكرهت نفسها لكنها تابعت: «ما الدور الذي تتوقّع أن تضطلع به إذا ما استثمرت في جيرالدين غاردنز؟».

ـ لا شيء. القرارات المتعلقة بالعمل تعود لك وحدك.

كان صادقاً في كلامه وقد استطاعت أن ترى ذلك بوضوح. وسدّت كتلة حلقها لكنها استطاعت أخيراً أن تقول: «أنا لا أريد صدقتك».

انحنى إلى الأمام قائلاً: «من أين ستحصلين على المال من أجل المصاريف الأولية؟».

يمكنها على الأقل أن تجيب عن هذا السؤال. أجبرت ابتسامتها على الاتساع وردّت: «من مارتي وفرانك. هذا هو المشروع الذي من شأنه أن يقوي أواصر علاقتنا».

إنهم أشقاء، وهذا سيساعدهم. إنها خطة مثالية. عقدت أصابعها وصلّت كي تكون محقة لأنها شعرت بأنها ستحتاج دعمهما عند عودتها إلى المنزل. وتحتاج هذا الدعم في أكثر من ناحية.

هبّ كينت واقفاً فيما سقطت الكرسي على الأرض محدثة ضجة قوية، وصاح بها: «مارتي وفرانك!».

رفعت كتفيها حتى أذنيها. يُفترض أن يبقى الحوار حضارياً.

ـ هل أنت مجنونة؟

لا، لكنه كذلك. مجنون جداً. ولم تفهم. فقالت: «إنهما عائلتي. وهما من ينبغي أن ألتجئ إليهما».

وإذا ما سارت الأمور كما هو مخطط لها فستصبح الحياة مثالية. مثالية إلا أن كينت لن يكون جزءاً منها.

ـ إذن، هل تظنين فعلاً أنهما سيساعدانك؟

حدّق فيها بالطريقة نفسها التي حدّق فيها في تلك القرادة التي اختبأت في لحمها. تشنّج فكّها وسألته: «ولِمَ لا يفعلان؟».

ـ لقد أرسلاك إلى هذا المكان، ألم يفعلا؟

ـ ما يثبت أنهما يراعياني ويهتمان لأمري و...

ـ هراء. تصرفهما هذا يظهر أنهما لا يعرفانك جيداً.

كرهت الحقيقة التي شقّت طريقها من بين كلماته.

حملق فيها قائلاً: «بالله عليك. هذه فكرتك عن عطلة في الجحيم».

كان هذا في الماضي. لكنها ستعود إلى هذا المكان. ستعود لزيارة كلانسي وليز إنما لن تنزل في إيغل ريتش. تملكها شعور بأنّ زيارتها لن تكون مرحّباً بها. وجادلته: «تبيّن أنّ المكان لا بأس به».

ـ لقد مرضت.

ـ كان يمكن لهذا أن يحصل في أيّ مكان آخر.

تراجع إلى الخلف ومرر يديه في شعره ثم دنا منها مجدداً: «لا يمكنك أن تثقي بهما».

حملقت فيه. لم تصدّق أنه تلفّظ بهذا الكلام، لم تستطع أن تصدّق أنه يحاول الإطاحة بكافة آمالها دفعة واحدة.

هبّت واقفة وهي ترتجف وقالت: «أنت لا تعرف أخويّ حتى. لقد تحدّثت عبر الهاتف إلى مارتي لدقيقتين و..».

وفجأة، خطرت لها فكرة مروّعة: «إلا إذا لم تخبرني بكل ما جرى. هل هناك ما ينبغي أن أعرفه؟».

ما الذي قاله مارتي كي يأتي رد فعل كينت على هذا النحو؟

حدّق كينت فيها وهزّ كتفيه ثم دسّ يديه في جيبيه وأشاح بنظره بعيداً قبل أن يجيب: «لا».

تحرّك فمها من دون أن يخرج منه للحظة أيّ صوت.

ـ إذن، أنت تستند في افتراضك هذا على ما تعرفه مني. تعتقد أنهما سيستغلاني لأني لا أستطيع الاعتناء بنفسي. أنت تعتقد أنّ من السهل التلاعب بي.

وخطت خطوتين إلى الأمام وفرقعت أصابعها تحت أنفه مضيفة: «أنت تظن أني أفتقر إلى العزيمة وقوة الشخصية».

ولهذا السبب لن يحبها يوماً.

ـ لن أناقشك في هذا الموضوع.

كبحت الغثيان المفاجىء الذي انتابها وتمنت لو لم ترَ نفسها أبداً في عينيه. وازداد إحباطها ولفّها ضباب أحمر اللون.

ـ أنّى لك أن تلقي عليّ محاضرة عن العزيمة فيما أنت من يدفن نفسه في هذا المكان النائي، في طرف العالم كطفل مذعور؟

الصمت الذي تردد صداه في الغرفة جعلها تتراجع خطوة إلى الخلف. ازدردت بريقها ثم رفعت ذقنها وبقيت ثابتة في مكانها.

ـ لا يهمني لما تظن نفسك مسؤولاً عن وفاة أمك وأختك، لكنك لست كذلك.

ـ إياك...

لم يكمل جملته بل لوّح بإصبعه تحت أنفها لكنها أبعدته وقالت: «لم تكن الشخص الذي أشعل النار وأحرق المنزل. أنت تعاقب نفسك على جريمة لم ترتكبها».

ردّ رأسه إلى الخلف وقال: «كان عليّ أن أبقيهما سالمتين. فهذه مهمتي ومسؤوليتي».

وعلى الرغم من شرارات الغضب التي تطايرت من عينيه، استطاعت جوزي أن ترى في أعماقهما الوحدة والأسى.

ـ كان ينبغي أن أعرف ما قد يفعله.

خرجت هذه الكلمات من حلقه خشنة وقاسية. وأرادت جوزي أن تبكي كما ودّت لو تضمّه إليها. لكن هذا لن يجدي نفعاً فكبتت اندفاعها وحملقت فيه قبل أن تسأله: «لماذا؟ لِمَ ينبغي أن تتمتع بالقدرة على قراءة الأفكار فيما الناس لا يمتلكون هذه القدرة؟ لِمَ كان عليك أن تعرف أنت ما قد يفعله فيما أختك وأمك لم تتوقعا ذلك؟».

رمش بعينيه فيما تابعت كلامها: «أعلم أنك كنت لتنقذهما لو استطعت ذلك. أعلم أنك كنت لتبدّل المواقع معهما لو قُدّر لك ذلك، لكن هذا مستحيل».

اشتدت الخطوط حول فمه وبرزت بوضوح في وجهه المسمرّ. بعدئذ، بدا وكأن اللون زال عن وجهه الذي بقي رمادياً وخالياً من أيّ حيوية. توجّع قلبها وتخبّط إلى حدّ أن ركبتيها هددتا بالانثناء.

ـ أنت تلوم نفسك وتختبئ هنا لأن هذا أسهل من أن تخاطر بكل ما لديك وتتعلم كيف تعيش من جديد.

التمع الغضب في عينيه لكنها ولسبب ما لم تشعر بالخوف منه.

ـ لذا، وحتى تصبح مستعداً للالتحاق بأرض الأحياء يا كينت بلاك، لا تلقِ عليّ محاضرات عن قوة الشخصية والعزيمة.

واضطرت بعدئذ لأن تجلس.

زمّ شفتيه وقال: «يمكنك أن تفعلي ما يحلو لك إنما لا تحاولي أن تعلميني كيف أعيش حياتي».

الغضب في عينيه تزاحم مع جليد انسحابه وابتعاده عنها.

ـ ماذا؟ أهذا حق تحتفظ به لنفسك؟

أرادته أن يغضب مجدداً فتابعت: «ثقي بي يا جوزي لكن لا تثقي بأخويك؟».

أصبحت عيناه أكثر برودة. ضحكت ضحكة مرتجفة وقالت: «أنت تعلم بقدر ما أعلم أنّ عليك أن تكون بين الناس تنقذ حياة من يحتاج مساعدتك. هذا ما تريد أن تفعله وما ولدت لتفعله».

راقبته وهو ينغلق على نفسه ويصبح الغريب الذي التقته في اليوم الأول لوصولها إلى ايغل ريتش ولا يمكنها أن تفعل شيئاً بهذا الخصوص. لم يبق لديها كلمات تقولها باستثناء بعض التعابير الطفولية مثل «انضج» أو «أرجوك أحبني».

لا يمكنها أن تبوح له بحبها فسيكره هذا أكثر من كلامها كله. رفعت نظرها إلى الأعلى فالتقت عيونهما وقالت: «سأقبل بمساعدتك إذا ما رضيت بالعودة إلى ممارسة الطب».

انتفض فكه وقال: «صفقة مرفوضة».

هبط قلبها من شدة برودته. لقد بردت آخر آمالها وماتت. إنه محق بألا يحبها. لكن وقبل أن تتمكّن من الاعتذار، وتجد سبيلاً لإصلاح الأمور، استدار كينت وخرج من الكوخ.

أنّت مولي فتنهدت جوزي وقالت: «لقد أفسدت الأمر يا مولي».

تقدّمت منها مولي وأراحت رأسها على ركبة جوزي التي أضافت: «لن يحبني وحسب بل على الأرجح لن يتحدّث إليّ مجدداً».

يا له من أسبوع أخير من الذكريات الغالية والعزيزة!

لم ترَ جوزي كينت لما تبقى من اليوم كما لم تره في اليوم التالي أو في اليوم الذي تلاه. قامت هي ومولي بنزهات نحو النهر

حيث كانت تجلس على ضفته وترفع وجهها نحو الشمس التي بدا أنها عاجزة عن خرق البرودة التي لفّت قلبها. كانت تصلي كي ترى كينت ولو من بعيد.

واعتادت أن تعود في الوقت المناسب لتتناول الغداء مع كلينسي وتلعب معه الدومينو. وفي فترة بعد الظهر، كانت تعدّ الحلويات أو تقرأ. كما حلّت الكلمات المتقاطعة وحدها.

كانت تتناول العشاء مع ليز وتصعد إلى سريرها وتسحب الغطاء إلى ما فوق رأسها ما إن تغادر هذه الأخيرة.

هل هذا ما سيتضمنه ما تبقى من حياتها... الاشتياق إلى كينت؟ وحاولت أن تحصّن نفسها وتقسيها. وكاد الأمر ينجح خلال النهار، أما في المساء فتسقط الادعاءات.

عادت نهار الخميس من نزهتها مع مولي لتجد ملاحظة معلّقة على بابها وتعرّفت على خط كينت القوي فتسارعت ضربات قلبها. نزعت الورقة وفتحتها.

«اتصل جاكوب بنغيلي ويرجو أن تعاودي الاتصال به».

هذا كل ما كتبه. ما من عزيزتي جوزي. وما من تحيات. لا شيء.

بقي قلبها يتخبط في صدرها لأنه أدرك أنّ هذا هو العذر المثالي لتقصد المنزل وتراه. حملت الملاحظة واتجهت نحو المنزل. لم تنتظر حتى تأخذ نفساً قبل أن تدق بابه. وتعمّدت أن تستدير لتتأمل خضرة الغابة الممتدة خلف السياج الخلفي لمنزله.

أدركت على الفور أنه خلفها إذ استطاعت أن تشتمّ رائحته، ذاك المزيج الفريد من رائحة الخشب ورائحة الرجل المثير. أغمضت عينيها وأخذت نفساً عميقاً لينحفر عطره في ذاكرتها قبل أن تستدير.

أبقاه الباب ضمن الظلمة جزئياً إلا أنّ هذا لم يمنع قلبها من التخبّط بقوة.

حاولت أن تبتسم وقالت: «مرحباً».

لم يرد سلامها فرفعت الملاحظة مضيفة: «وصلتني الرسالة. شكراً لك».

لم ينطق بأي حرف. لم يبدُ عليه حتى أنه سمعها.

ردّت خصلة شعر عن عينيها وسألته: «هل يمكنني أن أستخدم الهاتف؟».

توقّعت منه أن يقول لها بأن تذهب إلى الجحيم.

مرت ثانية... اثنتان... ثلاث. وفيما هي على وشك أن تستسلم وتعود أدراجها، فتح الباب على مصراعيه. وخشيت جوزي أن يغيّر رأيه فتجاوزته على عجل.

أشار كينت الذي التزم الصمت التام إلى الهاتف فاتجهت نحوه وتوقفت ثم استدارت لتسأله: «هل أنت بخير؟».

وعادت لتتأمل وجهه قبل أن تضيف: «هل أنت مريض أو ما شابه؟».

ـ لا، لماذا؟

لأنه بقي صامتاً، هذا هو السبب.

ـ ما من سبب.

وعادت نحو الهاتف.

بقي يحدّق فيها فهزت كتفيها وقالت: «لم أرك في الجوار منذ بضعة أيام. وخطر لي فجأة أنك لربما تعاني مما أصابني أنا».

ـ لا.

ـ هذا جيّد.

اقتربت أكثر من الهاتف إنما تساءلت عما قد يفعله إذا ما أصيب بالمرض. كم سيطول الوقت قبل أن يجده أحدهم؟ أرادت أن تسأله إن كان لديه خطة في حال حصول مثل هذا الأمر، لكنها أدركت أنه سيطلب منها ألا تتدخل في ما لا يعنيها. ولهذا، لم تفعل بل اكتفت برفع سماعة الهاتف.

وسرعان ما أسقطت السماعة مجدداً من يدها.

ـ هل من خطب ما؟

ـ لا.

وعضّت شفتها ثم حدّقت في الملاحظة قبل أن تضيف: «لا أعلم لما قد يتصل بي جاكوب».

إلا إذا حدث أمر طارئ.

ـ ومن يكون؟

ـ جار.

وهزّت رأسها مردفة: «في الواقع، إنه ابن جارتي. الجارة التي مرضت، أتتذكر أني أخبرتك عنها؟».

ـ أتذكر. كان عليك أن تتصلي بها.

واسترخت شفتاه قبل أن يضيف: «ما إن أنزلتك عن منشر الغسيل».

ـ إنه يعمل في بريسبان حالياً. آمل أن تكون أمه بخير. أرجو ألا يكون هناك مشكلة في جيرالدين غاردنز. أرجو...

كان مارتي وفرانك ليتصلا بها في حال حدوث أمر طارئ. إلا إذا تعلّق الأمر الطارئ بهما!

أطلق كينت شتيمة واتجه نحوها قائلاً: «ثمة طريقة واحدة لمعرفة ذلك».

www.elromancia.com

أخذ منها الملاحظة وطلب الرقم المسجّل في أسفلها ثم وضع السماعة في يدها مضيفاً: «اسأليه».

نبرته الحادة تركت الأثر المطلوب، وقبل أن تُقدم على أيّ تصرّف متهوّر، رفع جاكوب السماعة في الطرف الآخر وقال: «آلو؟».

ـ جاكوب، أنا جوزي بيترسون. وصلتني رسالتك.

وتخلّت عن المزاح لتضيف: «أرجوك قل لي إنّ الجميع بخير».

ـ إنهم بخير صدقيني. لم أقصد أن أثير قلقك يا جوزي.

تنفّست الصعداء والتفتت نحو كينت مبتسمة، فهزّ رأسه.

ـ هذه أخبار جيدة. هل والدتك تتعافى؟

ـ نعم. اسمعي يا جوزي، لم أعرف ما إذا كان عليّ أن أتصل بك أم لا، لكن المسألة...

ـ نعم؟

ـ استقدم مارتي وفرانك فريقاً من المساحين إلى جيرالدين غاردنز.

رمشت بعينيها. هل فعلا هذا؟

ـ كما أحضرا مهندساً من شركة لتطوير الممتلكات من المدينة.

فغرت فمها. استطاعت أن تشعر بكينت يراقبها فتمالكت نفسها إذ لا يمكنها أن تحتمل المزيد في هذه اللحظة بالذات.

ـ لا أعرف ما الذي يخططان له لكنه لا يعجبني. أعتقد أنّ عليك أن تعودي إلى المنزل لتكتشفي ما يجري.

وهذا ما ستفعله.

ـ سأغادر بعد الظهر.

ـ حسن.

ـ شكراً لأنك أعلمتني يا جاكوب.

ـ هذا أقل ما يمكنني أن أفعله بعد كل ما فعلته لأمي. إذا استطعنا أن نساعدك في أي شي. آخر...

ـ أشكرك لكني واثقة أنّ ما من داعٍ للقلق.

مارتي وفرانك شقيقاها. لا بد من وجود تفسير منطقي. لكن مجدداً... لا يمكنك أن تثقي بهما. تردد صدى هذا الاتهام الذي أطلقه كينت في داخلها.

ـ هل من مشكلة؟

بعد ما قاله عنها وعن شقيقيها، لا تنوي أن تأتمنه على أسرارها. فأجابت: «لا شيء أعجز عن مواجهته».

وضمّت يديها معاً تعتصرهما قبل أن تردف: «إنما أخشى أني سأضطر لقطع عطلتي».

ـ سمعت ما قلته.

ابتلعت ريقها وقالت: «أظن أن العطلة ستصبح أقصر بثلاثة أيام».

أرادته أن يقول شيئاً ما، أيّ شيء لكنه هزّ كتفيه واستدار مبتعداً. وبقلب يتخبط ألماً، تجاوزته جوزي وغادرت.

وبعد ساعتين، أصبحت جاهزة للرحيل. وضّبت حقائبها وقررت أن تقود سيارتها إلى مارتين غولي لتودّع كلانسي وليز اللذين جعلاها تعدهما بأن تتصل لتطمئنهما أنها وصلت إلى المنزل بخير. كما جعلاها تعد بأن تعود لزيارتهما.

جلّ ما تبقى الآن هو أن تُخرج حقائبها لتضعها في السيارة وتسلّم مفتاح الكوخ لكينت وتعانق مولي مودّعة.

لم تكن ترغب في أيّ من هذا. أرادت أن تستلقي في السرير

وتختبئ تحت الأغطية، لكنها لم تفعل. إذا ما رأى جاكوب المسّاحين والمهندسين في جيرالدين غاردنز فهذا يعني أن سكان بوشنان بوينت فعلوا أيضاً. ستنتشر التكهنات، وهي لا تلومهم على ذلك. فعقلها هي أيضاً لم يكف عن العمل.

ما الذي يخطط له فرانك ومارتي يا ترى؟

مهندس لتطوير الملكيات؟ وغصّت. لن يرغب سكان بوشنان بوينت في أن تتحوّل قريتهم الواقعة على شاطئ البحر إلى مكان مترف يقصده السواح، مع ما يعنيه هذا من زحمة سير وارتفاع في الأجور.

إنّ صك ملكية جيرالدين غاردنز باسمها على الأقل ولا يمكن لمارتي وفرانك أن يبيعا المكان من دون موافقتها. ولا يمكنهما أيضاً أن يجبراها على توقيع أي ورقة رغم إرادتها.

أطلقت مولي أنيناً حاداً والتصقت بساقيها فركعت جوزي على ركبتيها ودفنت وجهها في فرائها هامسة: «أنت على الأقل ستفتقدينني».

إلا أنها لا تستطيع أن تؤجل لحظة الوداع أكثر، خاصة إذا ما أرادت أن تصل إلى المنزل قبل حلول الظلام.

تنهدت ثم استقامت واتجهت نحو حقائبها. حملتها ثم وضعتها في الخارج. قفز كينت من حيث جلس عند طرف الشرفة.

منذ متى وهو هنا؟ ازدردت جوزي بريقها وسعلت ووجدت صعوبة فائقة في أن تتنفس: «أنا..».

قطّب ثم قال: «خطر لي أنك قد تحتاجين لبعض المساعدة في نقل حقائبك».

عظيم. هل يرافقها ليحرص على مغادرتها المكان؟ راهنت أنه سيحضر معدات التنظيف قبل أن تصل سيارتها إلى آخر الدرب. وهي لا تلومه بعد الكلام الذي تفوّهت به يوم الاثنين.

بدا لها من غير المناسب أن تنتهي الأمور على هذا النحو.

ـ شكراً لك. أقدّر لك مساعدتك.

لم تبتسم إذ عجزت عن ذلك. وهذا لا يعني أنّ الأمر مهم فكينت لم يتكبد عناء النظر إليها وهو يرفع الحقيبتين ويتجه بهما نحو السيارة. إنها علامة كينت الفارقة... ما من نظرة إلى الوراء.

قطعت ساقاه الممشوقتان المسافة بسهولة، وتمنت لو تستطيع أن تجمد الوقت لتملأ نظرها منه. ليس منه وحسب بل من إيغل ريتش أيضاً. أرادت أن تتأمله من دون حذر وتجمد صورته في ذهنها إلى الأبد.

لكنه محفور أصلاً في داخلها.

استدارت وعادت متعثرة إلى الكوخ فداست على مولي عن غير عمد فقالت لها: «آسفة يا فتاة».

ربتت على رأس مولي تستمد الراحة من دفئها. وتأملت الغرفة للمرة الأخيرة فاغرورقت عيناها بالدموع. إلا أنها تجاهلت الدموع ورفعت بعزم الحقيبة الصغيرة ووضعتها على كتفها ثم دسّت مفتاح الكوخ في جيبها ورفعت صندوق مشترياتها قائلة: «هيا يا مولي».

حاولت أن تقلّد كينت... في عدم الالتفات إلى الخلف... لكنها عجزت عن ذلك. تأملت الغرفة مطوّلاً قبل أن تغلق الباب خلفها.

وقع طيف كينت عليها فيما هي تبتعد عن الكوخ فتوقّفت وحدّقت في صدره وتمنت لو يلفها هو شخصياً وليس طيفه. وللحظة، ظنت أنه سيفعل ليتبيّن لها أنه تقدّم ليأخذ الصندوق من بين يديها.

ابتلعت بريقها وتقدّمت نحو السيارة. مشى بمحاذاتها فالتفت رائحة الخشب والدخان والرجل حولها وتمنت لو تدوم إلى الأبد.

ولم تحاول أن تشيح بنظرها عندما انحنى ليضع الصندوق في

المقعد الخلفي. استقام مجدداً فيما راحت مولي تنبح وتئن وهي تدور حول ساقيّ جوزي وتلتصق بهما. وفقدت قدرتها على الاحتمال فركعت على ركبتيها واحتضنتها بقوة. بعدئذ، تراجعت قائلة: «سأفتقدك».

حاولت مولي أن تقفز إلى حجرها لكن جوزي هبّت واقفة قبل أن تفقد رباطة جأشها وتجهش بالبكاء.

بدت عينا كينت داكنتين للغاية وقد تناقضتا مع لون قميصه الشاحب. أخرجت المفتاح من جيبها ووضعته في يده قائلة: «شكراً لك».

حدّق في المفتاح للحظة طويلة ثم أطبقت أصابعه عليه مشكّلة قبضة وأجاب: «اهلاً وسهلاً».

حبست أنفاسها وصلّت كي يرفعها بين ذراعيه ويعانقها حتى تشتعل النار في دمها وتحرقها. لم تكن غبية إلى حدّ أن تحلم بنهاية سعيدة لعلاقتهما وجلّ ما أرادته هو عناق صاعق وطويل.

لن يحصل هذا لكن أنفاسها تقطّعت لمجرد التفكير في الموضوع.

رمت حقيبتها على مقعد الراكب المجاور وأغلقت الباب ثم مسحت يديها الرطبتين على سروالها الجينز. ما زال أمام كينت بعض الوقت ليرفعها بين ذراعيه...

استدار حول السيارة وفتح لها باب السائق فلم يبقَ أمامها سوى أن تتبعه. صعقتها خيبة الأمل بقوة. وشرعت مولي تنبح نباحاً طويلاً وكئيباً. صعدت جوزي في السيارة ثم عادت وترجلت منها قائلة من دون تفكير وهي تداعب مولي: «هذا مريع».

ما زال أمامهما بعض الوقت لعناق. سترضى بعناق يتيم وإن فصل باب السيارة بينهما. سوف...

ـ سأعتني بها.

بالطبع سيفعل. حدّقت في فكه القاسي وقالت في سرها إن عليها أن تعود إلى أرض الواقع وتترك جزيرة الأحلام. إنما...

ـ آسفة لأننا تشاجرنا.

وتطاولت لتلامس خده قبل أن تضيف: «الوداع يا كينت».

عندما صعدت إلى السيارة هذه المرة لم تترجل منها مجدداً بل أغلقت الباب وشغّلت المحرك. أنزلت الزجاج من دون أن تلتفت إليه فانحنى ولامس خدها قائلاً: «أتمنى لك رحلة آمنة يا جوزي».

ثم تراجع إلى الخلف.

ابتلعت جوزي الغصة التي سدّت حلقها لتعود وتحل محلها غصة أخرى. أومأت برأسها بصمت. وعندما انطلقت، لم تلتفت إلى الخلف مجدداً.

تجاهل كينت العقدة التي تشكّلت في معدته عندما تحرّكت جوزي بسيارتها وانطلقت بعيداً. وأحس بضربة أكبر تُسدد إلى صدره لكنه تجاهلها أيضاً. إلا أنه رفع يده ملوّحاً عندما استدارت خارجة من درب المنزل واتجهت نحو الطريق العام لكنها لم تلوّح له مودّعة. لا شيء.

وهذا لا يعني أنه يستحق أن تعامله جيداً بعد طريقة معاملته لها منذ شجارهما السخيف ذاك. ولفته رائحتها الحلوة، التي تذكّر بعطر الفواكه. من السخافة والبلاهة أن يعظّم أموره بهذا الشكل وألا يهدأ ويتنازل بعد فوات الأوان.

فات الأوان على ماذا؟

ليكونا صديقين. هذا ما أراد أن يصرخ به لذلك الصوت الذي

يتردد في رأسه والذي لا يصدّقه. كان بالامكان أن يصبحا صديقين. وما فائدة الأصدقاء؟

إنها في حال أفضل من دونه. وهو في حال أفضل من دون مصدر الالهاء الذي تشكّله، فهي تغريه بحياة أقسم على ألا يعود إليها أبداً.

فك طوق مولي فانطلقت تعدو على الدرب لكن سيارة جوزي كانت قد اختفت عن الانظار. نبحت مولي ثم راحت تقفز مراراً وتكراراً وكأنها تحاول أن ترى جوزي لمرة أخيرة. وعندما لم تستطع أن تراها، التفتت نحوه وقد أخفضت رأسها فأدرك معنى أن يثير المرء الشفقة.

ـ هيا يا مولي.

وربت على فخذه لكنها تجاهلته واتجهت نحو كوخ جوزي. استدار وتوجّه نحو منزله ثم أطلق شتيمة وانحرف ليلحق بها. وجدها مستلقية عند المدخل، وقد أسندت رأسها إلى قائمتيها الأماميتين وأسبلت عينيها الكبيرتين، فقال لها: «هي أيضاً ستفتقدك يا مولي».

لم تحرّك مولي ذيلها ولو بشكل طفيف. وشعر كينت برغبة ملحّة في أن يستلقي بجانبها. إلا أنه فتح باب كوخ جوزي وحدّق في الغرفة.

كان الكوخ خالياً تماماً. لم تترك خلفها أيّ أثر، لم تنسَ أيّ جوارب أو حتى صحيفة. لم يبقَ من جوزي سوى أثر من عطرها في جو الغرفة.

اندفعت مولي إلى الغرفة وقفزت على الأريكة وكأنها صلة الوصل مع جوزي. ومنعه قلبه من أن ينزلها فجلس على الكرسي وملأ رئتيه من هواء الكوخ الحلو.

11 ـ إلى الأبد

عند دخولها من بوابة جيرالدين غاردنز، وجدت جوزي سيارتي مارتي وفرانك مركونتين عند الممر الدائري. لم يبتهج قلبها عند رؤية بيتها بل بدت الأمسية كئيبة، تفتقر إلى البهجة على الرغم من الأضواء المتلألئة في المنزل. خرج مارتي وفرانك مسرعين من الباب الأمامي وكأنهما كانا يتوقعان وصولها ثم توقفا مذهولين في اللحظة نفسها.

ترجّلت من سيارتها. ودخلت من البوابة شاحنة صغيرة، فأعمتها أضواءها العالية وهي تتوقف خلف سيارتها.

لم يتقدّم أيّ من أخويها فوجدت جوزي نفسها مجبرة على الترحيب بالرجل الذي ترجّل من الشاحنة وسألته: «هل لي أن أساعدك؟».

قال وهو يمد يده: «أنا تيد أولاري من شركة أولاري لنقل الأثاث».

صافحته جوزي وقالت: «أظن أنّ ثمة خطأ ما».

تحقق من الأوراق التي يحملها وسأل: «أهذه جيرالدين غاردنز؟».

ـ نعم.

ـ إذن، ما من خطأ يا آنسة. لدينا تعليمات من السيد مارتي بيترسون تقضي بإفراغ المنزل مع حلول الصباح.

www.elromancia.com

- وإلى أين ستأخذون الأثاث بحسب التعليمات؟

تحقق من أوراقه مجدداً وأجاب: «إلى المخزن».

نزل مارتي السلم أخيراً لينضم إليهما. ابتسم ابتسامة مشرقة لكن العرق المتصبب منه التمع عند أعلى شفته وقال: «يُفترض أن تكون هذه مفاجأة لك يا جوزي».

نبرته المرحة المزيّفة زادت مرارتها لكنها ابتلعت غضبها وعادت تتكلم بذاك الصوت الهادئ نفسه: «إنها كذلك فعلاً. أظن أنه من الأفضل أن تخبر السيد اولاري أنك أضعت وقته وأنّ خدماته ليست مطلوبة اليوم».

استدارت من دون أن تضيف أيّ كلمة أخرى وصعدت إلى الشرفة ثم اتجهت نحو الباب. اعترض فرانك طريقها وقال بحدة: «لا داعي لأن تأخذي المسألة بحساسية. عليك أن تسمعي..».

تجاوزته متجاهلة نبرته الرتيبة ويديه المرتجفتين وقالت بحزم: «غداً. سأتحدث إليكما في الغد».

بعدئذ، أغلقت الباب في وجهه المذهول.

رفضت مولي الخروج من كوخ جوزي. وبدا أنها ستبقى في مكانها لا تبارحه إلا إذا رفعها كينت رغماً عنها. وهو لا يريد أن يرفعها رغماً عنها بل لا يريد أن يفعل شيئاً.

ورفضت مولي أن تمس طعامها. كما أن شهية كينت على الطعام بدت معدومة. لم يتناول أيّ منهما الطعام. وفي نهاية الأمر، ناما في كوخ جوزي.

فتح كينت الأريكة السرير، وأحضر غطاءً ثم استلقى هو ومولي جنباً إلى جنب... على سرير جوزي. لم يكن الظلام قد حلّ بعد.

وراح يحدّق في السقف وهو يتساءل عما إذا وصلت إلى بيتها سالمة.

لِمَ لم يطلب منها أن تتصل به؟

أنت مولي فأخذ يحك أذنيها. كان الضوء خلف الستائر قد ذوى إنما ما تبقى من نور كان كافياً كي يفتقد اللون والحيوية اللذين أوجدتهما جوزي في هذا المكان واللذين أخذتهما معها حين رحلت.

في الغد! سيتوجه إلى مارتين غولي غداً ليشتري أقمشة زاهية من متجر ليز، وسيطلب من ثلما غوير أن تزوّده ببعض البسط. وسيتوقف عند مشغل راشيل ستانتون ليختار من الألوان المائية لديها. بعدئذ، سيتناول الغداء مع كلانسي. لا بد أن جوزي اتصلت بكلانسي لأن هذا الأخير جعلها من دون شك تعده بأن تتصل به عند وصولها.

وعبس كينت وهو يتأمل السقف. كلانسي رجل ذكي.

فتحت جوزي الباب وقالت: «يا إلهي! ما هذه الخدمة السريعة. أنا آسفة لأني اتصلت بك في مثل هذا الوقت يا ستيف».

عندما دخلت إلى منزلها، وجدت جوزي أنها محظوظة لأنها تمكّنت من ذلك بعد أن لاحظت الأقفال الجيدة اللامعة. فلو وصلت في غياب مارتي وفرانك لما تمكّنت من الدخول.

- ما من مشكلة يا جوزي.

وضع عدّته قرب الباب الرئيسي ورمقها بنظرة تنم عن دهاء قبل أن يضيف: «عندما يتعلّق الأمر بالأمان وبامرأة وحيدة لا نأبه نحن في المؤسسة بالوقت، سواء أكان ليلاً أم نهاراً».

ابتسمت له: «هل لديكم قَسَم مهني أو ما شابه؟».

www.elromancia.com

ـ بالتأكيد. تسرّني عودتك يا جوزي إذ ساد القلق في البلدة.

ـ أعلم هذا فقد اتصل بي جاكوب.

رفع ستيف مفك البراغي وهو يقول: «صوتت البلدة وأبلغته أنّ عليه أن يتصل بك».

لم يفاجئها الخبر، فبوشنان بوينت مجتمع مغلق يسود التكافل والتعاضد بين أبنائه. لم يكن مارتي وفرانك يوماً جزءاً من هذا المجتمع فالكل يعتبرهما من أبناء المدينة.

كان ستيف الشخص الوحيد في المدينة الذي يعمل في مجال تغيير الأقفال. وقد ارنادا المدرسة معاً ولعبا سوياً. يمكنها أن تثق به.

ـ هل غيرت الأقفال بناءً على طلب مارتي وفرانك؟

ـ لا.

أرادت أن تعرف ما الحجة التي استخدماها لتبرير فعلتهما، وهي تعلم أن ستيف كان ليسألهما عن السبب. وربما لهذا لم يستخدماه للقيام بهذه المهمة.

ـ استخدما زميلاً لي من دايموند. قال لهما إني أقرب وستكون الكلفة أقل عليهما لكنهما أصرا على أن يقوم هو بالعمل. هذا الأمر أثار شكوكه فاتصل بي.

وأثار شكوكها هي أيضاً فجلست القرفصاء بجانبه وسألته: «هل اكتشف لما أرادا تغيير الأقفال؟».

ـ قال مارتي إنه فقد المفتاح الاحتياطي ويخشى أن يجده غيره فيستخدمه ليدخل إلى المنزل ويسرق محتوياته فقرر تغيير الأقفال.

عضّت شفتها مجدداً ثم قالت: «لعلها الحقيقة».

ـ نعم، ربما.

لكنها أدركت أنّ ستيف لم يصدّق رواية مارتي كما لم تصدّقها

هي. هبّت واقفة وراحت تذرع أرض الغرفة. لقد حذّرها كينت من هذا.

وتساءلت إن كان ليقفل السماعة في وجهها إذا ما اتصلت وأخبرته أنه كان محقاً وإذا ما اعتذرت منه.

ألقت جوزي نظرة على الساعة. تشير الساعة إلى تمام الواحدة. رفعت سماعة الهاتف وأعادت طلب الرقم.

ـ مكتب السيد بيترسون.

ـ مرحباً ريتا. أنا جوزي مجدداً.

ـ أنا آسفة يا جوزي فما زال مجتمعاً بزبون.

ـ هذا اتصالي الخامس.

إنها تتصل به منذ الساعة التاسعة.

ـ أعلم هذا وأنا آسفة.

ابتلعت إحباطها فالذنب ليس ذنب ريتا إذا لم يعاود مارتي الاتصال بها.

ـ أقسم على أن يتصل بك الليلة... أو في الغد على أبعد تقدير.

هذا الكلام غير مرضٍ لكن جوزي لم تقل هذا بل اكتفت بشكر المرأة ووضع السماعة.

راحت تنقر على ذراع كرسيها بأصابعها ثم رفعت سماعة الهاتف وطلبت رقماً آخر فطالعها صوت المجيب الآلي: «أنا آسف، هذا الهاتف خارج التغطية حالياً أو..».

وضعت السماعة وهي تشعر بالاشمئزاز. شكّت في أن يكون فرانك قد تعمّد إطفاء هاتفه الخلوي لئلا تتمكن من الاتصال به. راحت تدلك صدغيها. ربما لو نامت بشكل أفضل الليلة الفائتة

www.elromancia.com

لتمكنت من مواجهة هذا الوضع والتعامل معه بشكل أفضل. إنما كلما أغمضت عينيها طالعتها صورة كينت وانتصبت قبالتها ما جعل النوم يجافيها.

تمنت لو طلب منها كينت أن تتصل به كما فعل كلانسي وليز. وتملّكها توق شديد لسماع صوته مرة ثانية. لم تعد تحصي المرات التي رفعت فيها السماعة لتتصل به وتخبره أنها وصلت بسلام وأنه كان محقاً بشأن أخويها. لكنها كانت تشعر بالجبن في النهاية وتضع السماعة من يدها.

إذا أرادت أن تكون منصفة بحقه لاعترفت بأنه لن يسخر منها على الأرجح لكنها راهنت على أنه سيرغب في ذلك. وهي لا تريد ذلك.

تراجع كينت إلى الخلف ليتأمل عمله لكنه ما لبث أن أطلق شتيمة. التف القماش على حبال الستارة ورفض أن يتدلى في ثنيات ناعمة كما رتبته جوزي. وضع غطاء على الطاولة ووزّع بعض الزهور بشكل عشوائي في زهرية ليكتشف أنّ تنسيق الزهور يتطلب مهارات أكثر مما تملك أصابعه. وضع وسادات ملوّنة بشكل مبعثر، وعلق لوحات جميلة، ووزع على الأرض قطع البسط لكن الأمر لم ينجح.

لم يبدُ المكان دافئاً ومرحباً بل بدا غريباً. عندئذ، جنّ جنونه فطرد مولي عن الأريكة. طردها إلى الخارج وأقفل الباب خلفهما لكن مولي رفضت الذهاب إلى ما هو أبعد من الشرفة.

صاح بها: «ما الفائدة؟ لقد رحلت».

ولن تعود.

لكنه علم على الأقل أنها وصلت سالمة إذ اتصلت بكل من كلانسي وليز. وقطّب. وما بين الأمس واليوم تبخّرت آخر آثار عطرها. اختفت بكل بساطة. ولم يصدّق كم يفتقد هذا العطر. هذه الحقيقة زادت من غضبه. وبدأ يسير مبتعداً ثم استدار ليواجه الكلب قائلاً: «إذا بقيت مضربة عن الطعام في الغد فسآخذك إلى الطبيب البيطري».

اعتادت مولي أن تفر هاربة كلما أتى على ذكر الطبيب البيطري لكنها هذه المرة لم تحرّك أذنيها حتى فشخر كينت وسار مبتعداً عنها.

إلا أنه حمل مولي ذاك المساء إلى المنزل وحاول أن يجبرها على تناول الطعام. بذلت جهداً لتشرب بعض الماء إنما رفضت أن تلمس طعامها. وعندما حلّ موعد النوم، حملها إلى غرفة نومه ووضعها على غطائها المعتاد أو على الأقل الذي اعتادت أن تنام عليه قبل وصول جوزي إلى ايغل ريتش.

أمضت مولي الليل وهي تخمش الباب بأظافرها وتعوي. وأراد أن ينضم إليها. وعند انتصاف الليل، تملكه اليأس فأطلق سراحها. وتساءل إن كانت الكلاب تموت بسبب انفطار قلبها.

ومع حلول موعد الغداء نهار السبت، أدرك أنّ مولي لم تعد له بل لجوزي فقد ارتبطتا ببعضهما البعض منذ اللحظة الأولى للقائهما.

تقريباً منذ اللحظة الأولى. وكشّر حين تذكر منظر جوزي وهي معلّقة على منشر غسيله.

تملّكه شعور غريب بالارتياح وهو يوضّب حقيبة صغيرة تكفيه لليلة واحدة. بعدئذ، اتصل سريعاً بسمايلي ماكدونالد ووضع مولي في سيارته التي قادها إلى مارتن غولي.

ترجّل من السيارة عند متجر ليز ليجد هذه الأخيرة واقفة بجانب كلانسي في جلسة مشاورات. لم يضيّع كينت وقته فقال: «أنا متوجّه لرؤية جوزي وأردت أن تعلما هذا».

ـ هذا جيد.

وأشار كلانسي إلى حقيبة على الأرض مضيفاً: «يمكنك أن تقلّني إذن».

ـ وأنا أيضاً.

ورفعت ليز حقيبتها لتضعها على كتفها.

حدّق فيهما وسأل بحدة: «لماذا؟ هل حصل ما يستدعي ذهابكما؟ هل هي بخير؟».

ـ إنها بخير.

وأمسكت ليز بذراعه قبل أن تضيف: «سنشرح لك ونحن في الطريق».

لم ينطق بأي كلمة بل أمسك بحقيبتيهما ووضعهما في صندوق سيارته الرباعية الدفع فيما تجهّم وجهه وهو ينتظر صعودهما إليها.

رفعت جوزي فنجان السيدة بنغلي وصحنها من على ذراع كرسيها عندما بدأ رأس المرأة العجوز يتدلى. قُرع جرس الباب مرتين فرمقت ضيفتها بنظرة ثم قطعت الممر نحو الباب الرئيس على رؤوس أصابعها.

فتحت الباب وهي تضع إصبعها على شفتيها ثم تراجعت إلى الخلف وثنت ذراعيها.

رفع مارتي إصبعاً مرتجفاً في وجهها وقال وقد احمرّ وجهه: «أنت... أنت غيّرت الأقفال».

ـ نعم، فعلت. فلم يترك لي أي منكما مفتاحاً احتياطياً ولم يجب أيّ منكما على اتصالاتي في الأمس ما لم يترك أمامي أي خيار آخر.

صاح بها فرانك وهو يتجاوزها: «ما من خيار؟ هراء».

ـ لديّ مهام أقوم بها ولا يمكنني أن أترك جبرالدين غاردنز من دون أقفال.

ـ لكن... لكن...

وتبعها مارتي فرفعت أحد حاجبيها وسألته فيما حرصت على الحفاظ على ابتسامة مشرقة: «نعم؟».

رمقها بنظرة حذرة ثم رسم على وجهه ابتسامة وشدّها لتتوقف وهو يقول بتلك النبرة المرحة المزيّفة مجدداً: «لدينا أخبار رائعة».

شعرت بهما يتبادلان النظرات من فوق كتفها.

وعندما استدارت ابتسم لها فرانك بدوره ابتسامة عريضة.

سألتهما: «أخبار جيدة؟».

أومآ برأسيهما بحماسة فأردفت: «هذا حسن. أنا أحب الأخبار الجيدة. من الأفضل أن نتجه إلى الغرفة الرسمية».

على أيّ حال، هذه هي الغرفة التي يفضلانها: «السيدة بنغلي تغط بالنوم في الغرفة العائلية».

اختفت ابتسامة مارتي وسألها: «ماذا تفعل هنا؟».

ـ إنها صديقتي. وهذا ما تفعله هنا.

أغلقت باب الغرفة الرسمية وصلّت في سرها كي يكون نوم السيدة بنغلي ثقيلاً. وعادت تسأله: «هل من مشكلة في هذا؟».

ـ لا، لا.

وتراجع ثم اتجه مباشرة إلى كرسي والدها.

www.elromancia.com

ـ تمتم فرانك بكلام غير مفهوم وارتمى في الكرسي المقابل له، ذاك الذي تشغله هي عادة.

جلست عند طرف الأريكة وقالت: «هذا ما أحبه في هذا المكان. الكل يهتم بالكل».

تبادل مارتي وفرانك النظرات واعتصر قلب جوزي. لقد أدركت وحسب أنها لن تحب أخبارهما الجيدة.

أراداها أن تبيع بيتها.

هذا الخبر لم يفاجئها فمنذ سنوات وهما يخبرانها أن المكان كبير جداً بالنسبة لشخص واحد وأن من الصعب الاهتمام به. جزء منها وافقهما الرأي لكن هذا لا يعني...

مع مرور الوقت ستملأه بالناس، بطريقة ما.

لكنهما تدبرا الشاري وهو شخص يعمل في مجال العقارات. كما يحملان معهما عقداً جاهزاً للتوقيع.

وضع مارتي قلمه المغطى بالفضة والذهب في يدها، هذا القلم الذي يدافع عنه عادة بحياته وأشار إلى نقطة محددة: «وقّعي هنا وهناك».

ـ لكني أريد أن أفكر في الموضوع أولاً.

شرع الرجلان يتحدثان في وقت واحد، ويحركان أيديهما أمام وجهها فتملّكها الذعر وارتفع كتفاها نحو أذنيها.

ـ إنها فرصة لا تتكرر مرتين في العمر يا جوزي.

وضرب مارتي العقد بيده مضيفاً: «لن تحصلي على سعر جيد كهذا».

لعله محق فالمبلغ المعروض مذهل.

وأضاف فرانك: «ولن تضطري للعمل مجدداً إذا لم ترغبي في ذلك. كما ستساعدين البلدة».

وضع مارتي يده الثانية على العقد وقال: «هذا صحيح. فالبلدة تموت على مهل».

روّعها هذا الكلام فقالت: «هذا هراء».

سارع فرانك يقول وهو يرمق مارتي بنظرة حذرة: «هذا المشروع يضمن ألا تموت».

عضّت شفتها. لعله محق. فهما لا يقترحان هدم جيرالدين غاردنز وتشييد مبنى شاهق بدلاً منه. تحدثا عن متنجع خاص ومميز. متنجع أنيق جداً، مع المنزل والأراضي مدرجة ضمن التصميم العام. لقد عرضا عليها التصاميم ولم تستطع أن تنكر جمال المشروع. لكن...

ـ سيكون مفيداً لك، ومفيداً للمجتمع ومفيداً لنا.

ـ وكيف سيعود عليكما بالفائدة؟

ـ أولاً، سنشعر براحة الضمير لأننا اهتممنا بك، فأنت تستحقين ذلك بعد رعايتك لوالدنا.

أصابت كلمات فرانك هذه نقطة حساسة، جزءاً من قلبها.

ربّت مارتي على يدها وقال: «أنت أختنا الصغرى. ونريد أن نراك مستقرة في حياتك».

غصّت. جلّ ما عليها أن تفعله هو أن توقّع العقد ومن ثم...

ـ وما كانت الغاية من شاحنة نقل الأثاث؟

ـ أراد الشاري أن يبدأ العمل على الفور. أردنا أن نرتّب الأغراض كي تنتقلي سريعاً ما إن تعودي وتوقّعي العقد.

مدّ مارتي يديه لكنه بقي ممسكاً بالعقد في إحداهما: «ظننا أنك لن تمانعي. نحن نحاول أن نرعاك وحسب يا جوز».

www.elromancia.com

الشخص الوحيد في العالم الذي اعتاد أن يناديها بهذا الاسم هو والدها. هبّت واقفة وأعادت لمارتي قلمه قائلة: «حان الوقت كي تأخذ السيدة بنغلي أدويتها».

وفرّت من الغرفة. استندت إلى الجدار خارج الغرفة وحاولت أن تلتقط أنفاسها. كل ما عليها أن تفعله هو أن توقّع ثم تشكّل هي ومارتي وفرانك عائلة كبيرة سعيدة. لكن ولسبب ما لم تقتنع بالمشهد.

متى رتّبا هذه الأمور كلها؟ قبل عطلتها؟ وللمرة المئة اليوم، تمنت لو أن كينت إلى جانبها فقط لتُمتّع نظرها برؤيته.

أدوية السيدة بنغلي. تمالكت نفسها ورسمت على وجهها ابتسامة مشرقة ثم دخلت إلى غرفة العائلة لتجد كرسي السيدة بنغلي خالية. وقُرع جرس الباب.

نادت السيدة بنغلي عندما رأت جوزي: «أرجو ألا تمانعي فقد طلبت تعزيزات لمؤازرتي».

فتحت السيدة بنغلي الباب ففغرت جوزي فمها وهي ترى مجموعة متنوعة من سكان بوشانن بوينت تتجاوزها متجهة إلى الغرفة الرسمية.

صاح مارتي: «ما الذي...؟ هذه مسألة خاصة. ما الذي تفعلونه هنا؟».

ابتسم جاكوب ابتسامة مشجّعة لجوزي وقال: «أردنا فقط أن تتخذ جوزي قرارها بناء على معطيات واضحة وبعد أن تحصل على كافة الوقائع. هذا كل ما في الأمر».

ونادى السيد بيبر من الخلف: «وهذه بلدتنا. قرار جوزي سيؤثر فينا كلنا».

عندئذ، صرخ مارتي: «جوزي! عليك أن تتخلّصي..».

ـ هؤلاء هم أصدقائي يا مارتي وأريدهم هنا.

لم تنتظر رده بل استدارت نحو الجمع وأضافت سائلة: «هل الكل على علم بالعرض؟».

أومأ جاكوب برأسه: «نعم».

لم يفاجئها هذا، فلا بد أن ابن عم خال أحدهم عضو في لجنة ما في مكان ما. لكنها قالت على أي حال كي يكونوا على علم وحسب: «لن يكون مبنى شاهقاً بل متجعاً أنيقاً وخاصاً».

شخر جاكوب ولم يبدُ مرتاحاً في الدور الذي أوكل إليه، دور الناطق باسم البلدة: «الآراء منقسمة في البلدة. لكن هذا غير مهم».

وتدخّلت السيدة بنغلي قائلة: «يجب أن تسمعوا ما وضعته جوزي من خطة للمكان. ستقدّم المنامة والفطور. هذا رائع».

التفت فرانك نحوها وسألها: «منامة وفطور؟».

ـ إنها فكرة وحسب و...

وعلى الفور، تدخّل جاكوب: «نحن نحيد عن الموضوع الرئيس. ما تقررينه بالنسبة إلى جيرالدين غاردنز هو شأنك الخاص يا جوزي. فهذا المكان ملك لك. ما نريده هو أن تعرفي كافة الوقائع».

إنها المرة الثانية التي يشير فيها إلى الموضوع نفسه فسألته: «أيّ وقائع؟».

ـ أن شركة مارتي ستتولى عقد التأمين على عمل الشاري إذا ما نجحت الصفقة، وأن شركة فرانك ستحصل على عقد البناء.

قال فرانك متوجهاً إلى الحشد: «هذا ليس سراً. كنا نطلع جوزي للتو على كافة الفوائد التي نجنيها من إتمام هذا المشروع».

ها! كان عليها أن تعلم. لكنها لم تستطع إلا أن تتساءل عما إذا أراد فرانك أن يكون صادقاً معها بقدر ما يدّعي الآن.

www.elromancia.com

والتفت مارتي إليها قائلاً: «هذا يضمن أن نكون أنا وفرانك شريكين بشركتينا».

وتملكها السأم. لقد عملا بجدّ لتحقيق هذه الشراكة. لا يمكنها أن تنكر ذلك. هل يمكنها أن تقف في طريقهما الآن؟

حثّها جاكوب على الكلام: «جوزي؟».

ـ أنا...

لم تجد ما تقوله. فأصرّ: «ما الذي تريدينه؟».

لم يتسنَ لها أن تجيب. ففي هذه اللحظة بالذات، اندفع كلب شديد الحماسة من الباب وطرحها أرضاً.

ـ مولي!

وعانقت كتلة الفرو التي تلوّت بين ذراعيها. بعدئذ، رفعت ناظريها وتلاشى تعبها وسأمها: «كينت!».

ـ أنا آسف فقد هربت مني.

وجمد في مكانه حين لاحظ الحشد المجتمع في الغرفة. مدّ كلانسي وليز رأسيهما من خلف كينت ولوّحا لها. عانقت جوزي مولي وراحت تبتسم كالبلهاء.

صرخ مارتي فجأة بصوت محبط: «ومن هذا؟».

فعادت جوزي إلى رشدها وإن بقيت عاجزة بعض الشيء عن التنفّس.

هبّت واقفة وقالت: «أعرّفكم بأصدقائي من مارتين غولي: كينت، كلانسي وليز».

ولوّحت بيدها نحو الجمع مضيفة: «وهؤلاء هم أصدقائي في البلدة».

شعرت برأسها يدور ويدور. وتعالت من حولها أصوات تهمس

ترحيباً لكنها لم تستطع أن تفهم ما يجري. وفجأة، أمر واحد بدا لها واضحاً فالتفتت نحو أخويها وقالت: «لا يمكنني أن أتخذ قراراً الليلة يا مارتي وفرانك».

فغر أخواها فميهما واستحال وجه مارتي أحمر إلى حدّ أنها أقسمت أن أحد عروقه سينفجر وقال: «أتفعلين هذا لأني رفضت أن أقصد ذاك المكان المهجور لأعيدك إلى المنزل؟ أتردّين لي الصفعة؟».

كلماته هذه لفتت انتباهها بشكل كليّ. إلا أنّ صوتها خرج من حنجرتها هادئاً بشكل فاجأها: «كنت تعلم أنه مكان مهجور؟».

ـ بالطبع. أتظنين أني أحمق؟

لا، فهي الحمقاء. وضربتها موجات الغضب الحمراء. لقد خططا لإبعادها ليتمكنا من إتمام صفقتهما ولم يتكبدا حتى عناء تقديم عطلة مناسبة لها لشدة أنانيتهما التافهة.

ـ إذن، تلاعبتما بي؟

لم يجب أيّ من أخويها فأضافت: «وقد جمّلتما المسألة بادعائكما أنكما تهتمان لأمري؟».

حدّق مارتي في الأرض فيما حدّق فرانك في السقف.

ـ آه، أنا صدّقتكما، واقتنعت بكلامكما ووقعت في الشباك، أليس كذلك؟ لا بد أنكما تعتبراني غبية.

توقّعت منهما أن يعترضا، أن يخبراها أنهما يقدّران فعلاً اهتمامها بوالدهم وأنهما يحبانها فعلاً. لكنهما لم يتكلما.

ـ اخرج من هنا.

وأمسكت بالعقد وصفقته على صدر مارتي ثم صرخت بفرانك: «وأنت أيضاً. خذا عقدكما وارحلا. لا أريد أن أرى أياً منكما مجدداً».

شحب وجه مارتي وقال: «لا يمكن أن تكوني جادة في ما تقولينه».

وشرع فرانك يقول وهو يرتجف بشكل واضح: «لكنك شقيقتنا».

وتقدّم مارتي نحوها خطوة لكن مولي وقفت حاجزاً بينهما وقد نفشت وبر عنقها وظهرها ما أذهل جوزي ثم كشّرت عن أنيابها كلها.

أشارت جوزي إلى الباب قائلة: «ارحلا».

حدّق كينت في جوزي مندهشاً ولم يستطع أن يتذكر أنه افتخر بأحدهم يوماً بقدر ما افتخر بها في هذه اللحظة. أراد أن يأخذها بين ذراعيه ويدور ويدور بها. أراد أن يعانقها. أراد أن يحملها إلى...

أراد أن يبقى إلى جانبها!

إدراكه لهذه الحقيقة كان أشبه بلكمة قوية سُددت إلى أحشائه لكن هذه الضربة لم تطرحه أرضاً بل مدّته بقوة غريبة. أراد أن يبقى ولا علاقة لمولي أو كلانسي أو ليز أو لرغبته في مساندة جوزي ضد أخويها بالأمر.

الأمر يتعلّق كلياً به... وبها. ولهذا السبب أتى حتى لو حاول أن يختبئ خلف الكثير من الأسباب الأخرى.

دسّ يديه في جيبيه وراح يتأملها بقدر ما أمكنه من التكتّم في غرفة امتلأت بأشخاص يتأملونه بدورهم. التمعت خصلات شعرها التي تلوّنت بلون خشب الصندل تحت أضواء الثريا فيما بقي الشرر يتطاير من عينيها بعد ثورة الغضب المفاجئة تلك. لم تثر أي امرأة رغباته بقدرها قط من قبل.

لكن، ماذا لو لم ترغب في وجوده هنا؟ ماذا لو لم ترغب فيه؟ عندئذ، سيصبح الرجل الذي تريد، الرجل الذي ترغب فيه في حياتها.

هزّت جوزي نفسها وحاولت أن تفكّر بشكل واضح. التفتت نحو كينت وليز وكلانسي سائلة: «ما الذي تفعلونه هنا؟».

لم تصدّق كم شعرت بالارتياح والسرور لرؤيتهم.

حاولت ألا تركّز نظرها على كينت فيما اندفع ليز وكلانسي في الوقت عينه ليحتضناها، وبادلتهما العناق بدورها. أما كينت فبقي في مكانه، واضعاً يديه في جيبي سرواله ومحدّقاً بعبوس في الأرض.

ـ كنا قلقين مما يخطط له أخواك يا فتاتي.

التمعت عينا ليز وقالت: «إنما يبدو أنك لم تكوني بحاجة إلى فرسان لإنقاذك».

ضحكت جوزي ضحكة مرتجفة فهي لا تزال مصدومة من جرأتها في الدفاع عن مصالحها. رمقت كينت بنظرة. هل أتى لإنقاذها أيضاً؟

جرجر قدميه وحرّك كتفيه قبل أن يقول: «رفضت مولي أن تتناول الطعام منذ رحيلك. بالتالي، لا بد من أن تعيش معك».

فغرت فمها فقطّب وأضاف: «إنها تفتقدك».

ليتها تسمعه يقول هذه الكلمات نفسها لها!

وتدخّلت ليز قائلة: «كلنا اشتقنا إليك. وإذا ما قررت المضي قدماً في مشروعك المتعلق بالمنامة والفطور فستحتاجين إلى مساعدة. وبما أن تيد توفي فأنا أحتاج إلى بعض التغيير كما أنني ماهرة في الطهي».

دنا منها كلانسي أكثر وقال: «أعلم أني أتقدم في السن لكني ما زلت أجيد أعمال البستنة».

ثنت ليز ذراعيها وقالت: «ستحتاجين إلى طاهٍ».

وأضاف كلانسي: «وستحتاجين إلى بستاني».

سدّت الغصة حلقها ورمقت كينت بنظرة. كان يحدّق في ليز وكلانسي كما لو أنهما فقدا عقليهما للتو.

بعدئذ، استدار نحوها مقطّباً وقال: «وستحتاجين إلى زوج!».

كلماته هذه أزالت الغصة من حلقها فيما توقّفت الأحاديث في الغرفة وساد الصمت المطبق.

ـ ماذا؟

ازداد تقطيبه وهو يتلفّت من حوله متأملاً الوجوه الفضولية في الغرفة الصامتة. هزّ كتفيه مجدداً وهمهم: «لعل كلمة تحتاجين غير مناسبة. لعلك لا تحتاجين أحداً، لكني..».

وتأمل مجدداً وجوه الحشد في الغرفة ثم أمسك بيدها وجرها إلى خارج الغرفة ومن ثم أخرجها من الباب الرئيس حيث أوقفها عند جانب المنزل. بعدئذ، أطلق سراحها فيما بقي يحملق فيها.

هزّت جوزي رأسها. لا بد أنها لم تسمعه جيداً. لم يقل زوجاً بالتأكيد؟ هذا مستحيل!

قالت متلعثمة: «طبيب. أحتاج طبيباً».

ـ حسن، سأكون الطبيب.

أرادت أن ترتمي بين ذراعيه إلا أنها دلّكت صدغيها وسألته: «هل قلت إني أحتاج زوجاً؟».

ـ نعم.

ـ هل لهذا علاقة بحاجتي إلى شخص يعتني بي وما شابه؟

ـ تراجعت عن كلمة «تحتاجين».

واجتاحتها موجة من الأمل فسألته: «هل من شخص معيّن في بالك؟».

لم يجب على الفور لكنه قام بتصرّف لم يُخيّل لها يوماً أنه سيفعله... ركع على ركبتيه وأحاط خصرها بذراعيه ثم دفن وجهه في ثوبها وهو يدمدم: «أحبك يا جوزي. أنا ومولي لا يمكن أن نستمر من دونك. اشتقت إلى ضحكتك. اشتقت إلى رائحتك. اشتقت إليك».

ورفع رأسه وحدّق في عينيها: «لم أرَ في بادئ الأمر القوة التي تختزنينها. ثمة قوة أكبر في المجتمع، في مساعدة الناس وفي بناء الجسور. أريد بناء هذا المجتمع معك».

أرجعت الشعر عن جبينه، ورسمت خطوط وجهه الحادة بأناملها. هذا الرجل الرائع يحبها؟ وغشي نظرها وسألت: «أتحبني؟ حقاً؟».

تراقصت حواسها كلها طرباً عندما رأته يومئ برأسه.

ـ وأنت لا تستطيع أن تستمر من دوني؟

هزّ رأسه وأجاب: «هذا صحيح».

كانت تعلم طبيعة هذا الشعور وتفهمه فقالت: «سأطلعك على سر صغير: لا يمكنني أن استمر من دونك أيضاً».

هبّ كينت واقفاً على قدميه وحملها بين ذراعيه ثم راح يدور بها. لفّت ذراعيها حول عنقه فيما تعالت ضحكتها سعادة. عندما أنزلها أخيراً، مدّت يديها ولامست وجهه: «أحبك يا كينت بلاك. ولا يمكنني أن أتخيّل أمراً أكثر مثالية من أن أكون زوجتك».

لامس خدّها وقال: «قولي هذا مجدداً».

بدأت الحرارة تتدفق في عروقها وودت لو تذوب فيه وتنسى العالم بأسره.

ـ أنا...

حُبست أنفاسها في صدرها حين عانقها بقوة وقال: «رائحتك رائعة يا جوزي بيترسون».

شعرت بأنها ستموت بين ذراعيه فتراجعت لتتمكن من التقاط أنفاسها وقالت: «أحبك».

قرأت في وجهه أنه يشكك في كلامها فكررت: «أحبك».

لن تتعب يوماً من تكرار هذه العبارة.

ارتفعت يداه لتمسكا بوجهها: «ظننت أني قضيت على أيّ أمل لي معك. ظننت أني أبعدتك كثيراً عني إلى حدّ أن... وعندما أدركت أني أحبك كثيراً إلى حدّ أني لا أستطيع أن أعيش من دونك..».

مدّت يدها وضغطت أصابعها على شفتيه، تكبح دفق الكلمات: «أحبك يا كينت. وإلى الأبد».

ـ إلى الأبد.

أومأت برأسها ثم أبعدت يدها ودنت منه أكثر ليتعانقا عناقاً أكدا به عهدهما هذا.